الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أكلي محند أولحاج البويرة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المذكرة

البعثات العلمية إلى تونس وأثرها في الأدب الجزائري الحديث

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالبتين:

- تركي صبرينة
- جلالي نادية

إشراف الأستاذ:

جوادي إلياس

السنة الجامعية 2011-2012

كلمة شكر

كلمة شكر

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات...

تتبعثر الأحرف وعبثا نحاول تجميعها في سطور.

سطورا كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا.....

فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة.

ونخص بجزيل الشكر والعرفان إلى من كان له الفضل في مساعدتنا لانجاز هذه المذكرة

سمير

وإلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا هذا وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا

الأستاذ "جوادي إلياس" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث

فجزاه الله عنا كل خير وله منا التقدير والاحترام.

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك...ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك...ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

إلى من كلله الله بالهيبة والعقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل إسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد...

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب إلى معنى الحنان والتفاني...إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة

إلي توأم روحي أختي: سعيدة وزوجها طارق وأبنائها عبد الله وإبراهيم.

إلى من رافقتني منذ أن كنت أحمل حقائب صغيرة ومعها سرت الدروب خطوة خطوة، ومازالت ترافقني حتى الآن: صبرينة

إلى أخواتي اللواتي لم تلدهن أمي..إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي صديقاتي: صبيحة، فايزة ،نبيلة ، نجاح، نادية، مريم

إلى من بوجودهما أكسب قوة ومحبة لا حدود لها...وعرفت معهما معنى الحياة أخواتي

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد..إلى الشموع المتقدة التي تنير ظلمة حياتي إخوتي

إلى من أرى التفاؤل بعيونهم والطلاوة في ضحكتهم إلى أبناء إخوتي جميعا وخاصة سامية

إلى زوجات إخوتي

إلى كل من يعرفني.

نادية

إهداء

إهداء

إلى من أحاطني برحمته وجعل عقارب الأمل تدور في ملامح سمائي ...

إلى من تتلاشى كلماتي وتتوارى خجلا أمام عظمته، يا من أنت غني عن إهدائي

إليك الهي.

إلى التي بكت يوم أخفقت حزنا وأسفا وبكت يوم نجحت غبطة وفرحا

إلى سيدة الأمهات وبر الأمان ونبع الدفء والحنان أمي الغالية.

إلى الذي رسم ظلال النجاح أمامي فكان زادي وذخيرتي في الحياة، له وحده أقف عرفانا وطاعة

والدي العزيز.

إلى أحب الناس إلى قلبي إخوتي عبد الكريم، ياسين، بهاء الدين،هشام وخاصة محمد.

إلى من تقاسمن معي مشوار طفولتي وشبابي أخواتي الغاليات فضيلة سليمة وأزواجهن.

إلى توأم روحي ورفيقة دربي...إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة نادية.

إلى زوجات إخوتي نوال حبيبة فتيحة.

إلى من أرى في وجوههم اشراقة الصباح وأمل الغد وبراءة الحياة يعقوب فاتح وهيبة سميحة كوثر جهاد عقبة إكرام عبد

الله هديل.

إلى من كانت رفيقات سفري في مركب الحياة فايزة نجاح نادية مريم وصبيحة ...

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينسهم قلبي اهدي ثمرة جهدي هذا.

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة

لا يضئ إلا قنديل الذكريات،ذكريات أيام الدراسة.

صبرينة

صبرينة

مقدمـة:

الحمد لله الذي أجرانا على عادة تفضله وهدانا في جميع أحوالنا إلى طرق الخير وسبله وخصنا بإحسانه المتقادم، ورزقنا من العقل ما يميزنا به عن البهائم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد و خير بريته و على الطاهرين من أهل بيته وذريته و بعد:

لقد كان الشعراء والأدباء والمصلحون الجزائريون يشعرون بالواجب، ويصغون لنبض الضمير الواعي المتدفق وطنية وإخلاصا، يرون أنفسهم قادرين على تحدي جميع العقبات والعراقيل للدفاع عن الوطن من أجل الحرية التي طالما حلموا بالحصول عليها، وصيانة الشخصية و حفظها.فقد سخروا أنفسهم و أقلامهم لخدمتها، وعبروا بإخلاص و صدق عن قضاياها فكانت أعمالهم شاهدا أمينا صادقا عن الجزائر معبرة عن روحها و انتمائها الحضاري و التي شهدت تطورا بفضل البعثات العلمية التي وجدت طاقات الشباب الجزائري حاملة معها إلى الجزائر مختلف العلوم و المعارف.

وبما أن هذا الموضوع يمس هويتنا الوطنية و يساهم في بناء الشخصية والدفاع عن الوطن فقد شد انتباهنا و كان سبب اختيارنا له، والذي عنوناه << بالبعثات العلمية إلى تونس وأثرها على الأدب الجزائري الحديث >> باعتبار تونس كانت مقصد الجزائريين للدراسة في جامعة الزيتونة منذ تأسيسه وقد نبغ في العقد الأول من هذا القرن العشرين وقبله بقليل في جامع الزيتونة جماعة من العلماء الجزائريين و لكنهم كانوا أفرادا متفرقين وفدوا إلى الزيتونة في مدن مختلفة ولم يكونوا جماعة واحدة لها نظام البعثات، وأول بعثة علمية جزائرية أرسلت إلى تونس كانت سنة 1914م ترأسها الشيخ أبو اليقظان .

وقد تميز طلاب البعثات بالخلق العظيم الذي هو أساس العلم، وهذا ما جعلهم محل اهتمام الأساتذة بهم.

ودراستنا هذه تستدعي طرح عدة إشكالات من بينها: كيف كانت أوضاع الجزائر قبل الاستعمار و أثناءه؟ و ما هي الإصلاحات التي وسمت تلك الفترة ؟ وما هو أثر البعثات العلمية في الأدب الجزائري الحديث، ومن أجل هذا اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي.

أما فيما يخص خطة هذا العمل فقلد جاء في فصلين الفصل الأول تناولنا إرهاصات الأدب الجزائري الحديث الذي يندرج ضمنه أربع مباحث ارتبط المبحث الأول بأوضاع الجزائر السياسية والاجتماعية و الثقافية والاقتصادية، أما الثاني يتحدث عن بداية الإصلاحات والثالث تطرقنا إلى الحركة الوطنية ونشاطاتها والفصل الرابع تناولنا فيها الحركة الإصلاحية من 1925إلى1931م.

أما الفصل الثاني فيتحدث عن البعثات العلمية وأثرها في الأدب الجزائري الحديث وقسم هذا الأخير إلى أربعة مباحث فكان الحديث عن المبحث الأول عن بداية البعثات العلمية وفي المبحث الثاني تناولنا أثر البيئة التونسية في تطوير شعر بعض الشعراء الجزائريين والمبحث الثالث كان

بعنوان الخصائص الشعرية عند بعض الشعراء أما المبحث الرابع فكان أثر البعثات العلمية إلى تونس في نهضة الجزائر الحديثة.

وقد أفدنا بحثنا من كتب ومراجع مهمة أهمها الأدب الجزائري الحديث لمحمد صالح الجابري وكتاب الحركة الوطنية الجزائرية لأبي القاسم سعد الله إضافة إلى مراجع أخرى استقينا منها بحثنا هذا.

وتجدر بنا الإشارة إلى أننا فعلا واجهتنا جملة من الصعوبات في البداية، ويمكن إرجاعها إلى أسباب عديدة أهمها نقص المكتبات المحلية والجامعية لكن سرعان ما انزاحت كل هذه العقبات بفضل الأستاذ الفاضل "جوادي إلياس" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

تمهيد:

إن أصول الحداثة في الأدب الجزائري الحديث ترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حين كان ارتباط الحركة الأدبية في شمال إفريقيا بالمشرق العربي قائما، وقد بدأت النهضة في الوطن العربي باستلهام التراث العربي منطلقة من إحياء أمهات الكتب والاستفادة من عناصر القوة فيه فكانت الثقافة العربية والحركة الأدبية في عهد المقاومة ذات حيوية، كما كان التعليم منتشرا والعربية سليمة من العجمة والضعف، وهو الوضع الذي بدأ يتراجع بمجيء الاحتلال. حيث بدأت تشيع الأمية بتوطد الاحتلال وخاصة بعد نفي الأمير عبد القادر من الجزائر.

فقد مثلت الانتكاسة السياسية والثقافية والفكرية والأدبية تحت ضغط الاحتلال فترة انكماش ثقافي أشبه بغيبوبة؛ شعر فيها الإنسان الجزائري بالغبن والانكسار المادي والمعنوي وهو ما شمل الكتاب والأدباء الذين هم بطبيعتهم أكثر إحساسا بالمعاناة الوطنية بكل امتداداتها تحت الاحتلال النصراني الظالم المتعجرف.

وكان لهذا الاحتلال عاملان أحدهما كان إيجابيا فقد أيقظ الجزائريين من سباتهم وأخرجهم من غفلتهم فاكتشفوا طبيعة الذلة في العيش تحت الحكم الأجنبي، أما العامل الثاني فقد كان عامل ضعف للوطن في كل شيء فعم دمار الإنسان فسلبت الأرض من أصحابها و بدأت تشيع الأمية بعدما كان التعليم سائدا، وكان رد الفعل الوطني على هذه الأوضاع ذا وجهين أحدهما سلبي تمثل في الهجرة إلى الخارج والثاني إيجابي تمثل في المقاومة المسلحة ، فقد بقيت الجزائر خلال قرن واثنتين وثلاثين سنة رغم كل محاولات التشويه والتغريب ذات ارتباط بمجالها الحضاري عربيا وإسلاميا، خصوصا من الناحية الثقافية الأدبية فقد كان الأدب بخاصة والحياة الثقافية بعامة يعيشان تحت تأثير الأدب والحياة الفكرية في المشرق بصفة عامة سواء قبل الاحتلال أو بعده، لكن الاحتلال كان من طبيعته أن يشل الحياة الثقافية فعرف التعليم خاصة تدهورا وانحطاطا في المستوى بعد أن عرف تقلصا كبيرا.

كانت وضعية الأدب وخاصة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وضعية يرثى لها وهذا لما عانته الثقافة العربية من تهميش واضطهاد رهيب. فقد عانى ضعفا وتخلفا كبيرا بسبب ضياع وإتلاف الكثير من المنجزات الفكرية والأدبية بسبب التخلف الفكري و ظروف الحرب والتهميش أواخر الفترة العثمانية لأن أغلب الحكام كانوا أتراكا ومع ذلك فإن الأدب قد حفظ لنا بعض الآثار المكتوبة لأقلام صنعت إرهاصاته لشعراء كثيرين برز منهم "الأمير عبد القادر محمد بن عبد الرحمن الديسي، الطيب بن مختار" فانعكس في أشعار أولئك الرواد جوانب من الواقع الشعب الجزائري قبيل الحرب العالمية الأولى. فقد دعوا إلى الأخذ بالأسباب المدنية وطلب العلم ومحاربة الجهل والإصلاح الاجتماعي، واعتنوا

بالجانب العقائدي على الخصوص من محاربة البدع والخرافات والآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة...وهو ما أكدت عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ذلك. أما في مطلع القرن العشرين فقد تميز بظهور بوادر نهضة أدبية تمثلت في شعر بعض الرواد الذين حصلوا على نصيب وافر من الثقافة المتطورة وتأثرهم بالنهضة المشرقية الإصلاحية والوطنية من خلال المجلات والصحف التي كانت فضاءات لنشر قصائد الشعراء ومقالاتهم فعرف بذلك الأدب تطورا في الشكل المضمون مما أعطى لأصحابها أمل الرقي باللغة العربية وتشجيع الناشئة على إتقانها نثرا ونظما. ويرى الدكتور"محمد ناصر" أن الأدب الجزائري الحديث ظهر مع ظهور الحركة الإصلاحية سنة 1925 حيث يقول: << من المعلوم بأن النهضة الأدبية في الجزائر إنما بدأت مع بداية الحركة الإصلاحية...>>.

كان تأسيس الحركة الإصلاحية سببا في ميلاد جمعية العلماء المسلمين 1931 م. فقد اتضحت من خلالها معالم الأدب وعرف صحوته الحقيقية إذ بها انتشرت المدارس الحرة التي تدرس اللغة العربية بكيفية تؤدي إلى تحصيل الملكة القيمة والذوق الصحيح ونتج من هذه المدارس شعراء وكتاب وخطباء كثيرون ؛ حيث يقول الإمام عبد الحميد ابن باديس:<< الحقيقة التي يعلمها كل احد أن الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة المنتقد[1]، فمن يوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل>>.

---

[1] ظهور جريدة المنتقد كان سنة 1925.

المبحث الأول(1): أوضاع الجزائر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية:

كانت الجزائر تعيش أوضاعا مترديةإبان الاحتلال الفرنسي منها:

1ـ الأوضاع الاجتماعية:

يجدر بنا ونحن نلتفت إلى الحالة الاجتماعية الجزائرية في أوائل هذا القرن أن نستعيد مقولة بيجو" احتلال الجزائر بالسيف والمحراث، السيف في رقاب العرب والمحراث في يد المستعمر".

وليته المحراث، ولكنه السوط في يد المستعمر يهوي به على ظهر العربي المنحني على المحراث في أرضه المغتصبة. فالوجه الثاني للاحتلال، والنتيجة الحتمية لمقدماته، استعمار استيطاني ترابي ليس لفصوله نهاية يبدأ دوره بالمحراث في يد الدخيل، يوم ينهي السيف دوره في رقاب العرب [2].

فقد كانت الجزائر من أسبق شقيقاتها في العالم العربي والإسلامي ابتلاء بالغزو الأوروبي متمثلا في(الاحتلال الفرنسي) الذي كان فريدا من نوعه في بلاد العروبة والإسلام فقد كانت هدمة صليبية تغريبية وحربا على القدرات المعنوية للشعب الجزائري عقيدة ولسانا، تراثا وحضارة، كما كان هذا الغزو نهبا فضيعا للأموال والثروات واستيلاء جشعا على الممتلكات من أراضي وعقارات، فأصبح الشعب الجزائري نتيجة لذلك يعيش في عسرة من أمره، ما بين جوع وقهر وحرمان وفقر، وجهل وجمود [3] فنشأت حينئذ دولة، وشرعت في تنظيم الجيش، والقضاء والثقافة، والحياة الاقتصادية، ولكن الجيش الفرنسي بلغ عددا باهضا بحيث لم يعد للجزائريين احتمال مغالبته ولجأ الفرنسيون إلى وسيلة الإبادة، وارتكبوا جرائم لا مثيل لها. فأمكن فرنسا أن تستولي على الجزائر، وأن تبعد العنصر الإسلامي عن الحكم، فقسمت البلاد إلى عمالات ومقاطعات فرنسية. فالعامل في كل عمالة يتبع وزير الداخلية بباريس... وفي إدارة كل عمالة جيش من الموظفين لا وجود للمسلم بينهم.

وكان المشير "دوبرمون" الفاتح الفرنسي قد تعهد على احترام الدين والشعائر ومؤسساته وتعهد بحفظ ممتلكات الأتراك، لكنه لم يكد يستتب له الأمر حتى أعلن مصادرة كل أوقاف المسلمين من أراض وعقار وكل ممتلكات البلاد من الأتراك ووزعها على الحثالة التي صحبت جيش الاحتلال [4].

لكل أرض لا يستطيع صاحبها أن يستظهر بعقد امتلاك لها. ثم صدر قانون آخر في تموز سنة 1846م يبيح للاستعمار كامل الأراضي التي تقيم فيها القبائل الرحالة. وهكذا أصبح ليد الاستعمار أكبر مساحة من الأرض، أما أهل البادية لم يبق لهم إلا أرض البور [5] وهذه المصاعب التي نكب بها الشعب الجزائري

---

[2] صالح خرفي، الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط1، الجزائر1983، ص35.

[3] محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها بداياتها مراحها مطبعة الكاهنة، الجزائر،2003 ص 58.

[4] ينظر: نفسه، ص 369 .

[5] ينظر نفسه، ص 369.

لم تزعزع إيمانه ولم يستول عليه اليأس والضعف بل كان يعتقد إنما يقاسي محنة عارضة فلا بد من أن يسترجع يوما ما ضاع له من أرض وما ضاع له من شرف و سيحيا في أرضه حرا سعيدا...فقامت الطبقة المثقفة تقاوم الاستعمار بالقلم، فسجلت الفظائع التي قام بها الجندي الفرنسي، وبينت مصادرة الأملاك والأرزاق والمظالم وطالبت بالمساواة والحقوق المشروعة. فقامت جمعية "نجم شمال إفريقيا" تقاوم الاتجاه الفرنسي في الخارج. وأخذت "جمعية العلماء" تقاوم نفس الاتجاه داخل البلاد، فحاربت أنصار الاستعمار وقاومت وحطمت البدع والضلالات الدينية التي استغلها تحت ستار الطرقية، ونشطت في توجيه السياسة توجيها عربيا إسلاميا.

إلى جانب هذه الجمعيات تكونت أحزاب جزائرية كحزب الشعب الجزائري، وفرنسا نكلت بجميع هذه الأحزاب. لكنها لم تقو على أن تجعل حدا لهذه المقاومة الذريعة. ونتجت عنها الثورة الكبرى في كل مكان من أرض الوطن التي استرجع بها الشعب حريته واستقلاله بالكامل[6].

2ـ الأوضاع الثقافية:

قبل الاحتلال الفرنسي كانت الكتاتيب والمساجد والزوايا منتشرة في جميع أنحاء البلاد يتلقى فيها النشء ثقافته العربية الإسلامية، فلا يجهل الاستعمار أن العلم سيف قاطع إذا تسلح به الجزائري أمكنه أن يقاومه فسعى حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية ؛ وكان شغله الشاغل هو إفناء العنصر الإسلامي بالتفقير وتجهيل ما بقي منه. وما هي إلا فترة حتى أصبحت البلاد فارغة من العلم، فكان الاحتلال الفرنسي بحق عاملا في ضعف الوطن فعم دمار الإنسان والأرض التي سلبت من أصحابها فبدأت تشيع الأمية بعدما كان التعليم سائدا[7].

والثقافة الجزائرية عانت أيضا نتيجة للاحتلال، فالمواسم الوطنية والتاريخ واللغة إما اختفت وإما اضطهدت، وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس أو مستشفيات أو متاحف كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم.

أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل، وقد كانت اللغة أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، وبالتالي فإن التربية عموما قد انضرت[8].

كان التعليم يعطى في المساجد التي كانت أمكنة للعبادة إلى جانب اعتبارها مراكز للتربية والتعليم، وفي الزوايا التي كانت عادة تحت سلطة الجمعيات الدينية، المدارس الثانوية ثم المدارس الابتدائية التي كان بعضها رسميا و بعضها خاصا، وقد كان التعليم حرا على جميع المستويات لأن الطلبة والأساتذة

---

[6] نفسه، بتصرف، ص 371.

[7] المرجع السابق ص370.

[8] د أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء2، 1900ـ 1930، ط3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص61.

كانوا يتقاضون مراتبهم من الأوقاف، لكن الفرنسيين استولوا عليها وبهذه جرد التعليم الجزائري من أهم موارده ، وكان اختفاء المؤسسات التعليمية يعني اضطهاد اللغة العربية حيث اعتبرها الفرنسيون لغة أجنبية وميتة [9].

على هذا الأساس أهمل الفرنسيون تعليم العربية للجزائريين واكتفوا باستعمالها لأغراض إدارية استعمارية فقط. فقد بدأوا أولا بإزالتها من المدارس الابتدائية والثانوية...

أما الأساتذة الذين عينهم الفرنسيون لتدريس العربية فكانوا يسمون "بأساتذة العربية الدارجة". وبالتالي أصبحت العربية عقبة في نظر الفرنسيين كما أصبح معلموها أعداء[10]...

ومن الممكن أن يتوقع الإنسان بحق أن فرنسا بعد أن اضطهدت العربية ستعوضها بالفرنسية غير أن ذلك لم يحدث أيضا، فالجزائري في العقل الفرنسي لم يكن له وجود، فهو لم يكن لا جزائريا ولا فرنسيا ولكنه كان مجرد رعية محتلة ومعاملته كانت تتماشى وهذه الفكرة فالجزائري كان ينتمي إلى "جنس غير قابل للصحيح والتثقيف"، ولهذا السبب أهمل الفرنسيون تعليم الجزائريين[11].

فاللغة العربية كانت في المدارس الثانوية لغة اختيارية كأنها لغة أجنبية في بلادها، لكن الأمة الجزائرية لم تبق مكتوفة الأيدي أمام هذه الوضعية بل أخذت تبني المدارس العربية الإسلامية الحرة بجهودها الضئيلة وشيدت منها ما يزيد على170 مدرسة، وذلك تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذه المدارس أمكنها أن تكون نخبة عربية إسلامية من الفتيان والفتيات ثم أسست هذه الجمعية معهد "عبد الحميد بن باديس" التكميلي منه يوجه الطلبة إلى المدارس والمعاهد العليا بتونس والشرق العربي[12].

3ـ الأوضاع الاقتصادية:

لم يكتفي الاستعمار بالاستيلاء على ما فوق الأرض بل استحوذ على كل ما تحتها أيضا ومعادن القطر الجزائري كثيرة درت على شركات الاستعمار الأرباح الذريعة وتعمد الاستعمار إعداد كل حركة صناعية في البلاد، ولم يحدث صناعة في القطر الجزائري يزاحم بها معامل فرنسا والتصنيع يغير وضعية سوق اليد العاملة الجزائرية فيغري العمال الجزائريين بالعمل الصناعي المرتفع الأجور ويزهدهم في العمل الفلاحي عند المعمرين مقابل الأجور المنخفضة وهذا ليس في مصلحة المستعمرين. كانت حالة التجارة سيئة تحتكرها فرنسا، تبتاع مواد القطر الجزائري الخام وتبيعه ما يحتاج إليه مما تنتجه معاملها،

---

[9] ينظر : نفسه ، ص 62 - 63 .

[10] ينظر: نفسه، ص63.

[11] ينظر: نفسه، ص64.

[12] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص371.

والجزائريون لا يجدون لهم في هذا كله، والعامل الجزائري كان يعمل كثيرا ويربح قليلا، فبقدر ما تزداد ثروة الأوروبيين بقدر ذلك يزداد فقر الجزائريين.

فقد تعهدت فرنسا سياسة تفقير الأهالي والقضاء عليهم، فلا نعجب حينئذ تجاه هذه الحالة أن تكون الأمة الجزائرية لذلك العهد في حالة مرض مزمن[13].

4ـ الأوضاع السياسية:

لقد اشتدت حملات القراصنة الأوروبيين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط حيث كان المسلمون يعتبرونه بحرا إسلاميا لا ينبغي أن تعلو فيه غير راية المسلمين ولا يسمح فيه بالمرور إلا لسفن الدول التي تبرم معاهدات السلام والصداقة مع دول المغرب الإسلامي، وأن تلتزم بدفع غرامات سنوية وهدايا للوالي في مختلف المناسبات ومن بين هذه الدول فرنسا مما جعلها تكن كرها وحقدا للإسلام والمسلمين فعزمت أن تستولي على الجزائر فأخذت تستعد وتمهد السبيل إلى ذلك.

حيث أذنت الجزائر لفرنسا أن تنشئ مراكز في القالة بشرط أن تدفع ضرائب مقابل السماح لإقامتها، فلم تنتبه الجزائر لخطرها بعدما تنكرت للشروط وجعلت تلك المراكز وكرا لنشاطها التخريبي ضد سلامة البلاد. ثم كانت الجزائر قد أقرضت فرنسا أموالا فتملصت من أداء ما عليها من ديون، كل ذلك سببا في أزمة شديدة بدأت بحادثة المروحة وانتهت بحملة الاحتلال عام 1830م.

وقد كانت هذه الحادثة سببا لتبرير فرنسا حملتها القادمة إلى الجزائر وفرض الحصار عليها لأن الداي لم يقبل شروطها وقامت إثر ذلك بين الدولتين حرب لم يستسلم الشعب لها أبدا فراح

ينظم المقاومة وينادي بالجهاد بقيادة الأمير عبد القادر بن محي الدين الذي أظهر شجاعة وقدرة حربية لا نظير لهما مدة ثمانية عشر عاما. فالجزائر لم تخسر الحرب بل خسرت معركة فقط إذ استمر الكفاح إلى يوم انتصارها النهائي عام1962 على فرنسا التي تعد من أعظم دول العالم[14].

وقد بررت فرنسا حملتها ضد الجزائر بعدة أسباب وهي الانتقام من الجزائري الذي أهان الداي حاكمها الشرف الفرنسي حين ضرب القنصل الفرنسي بالمروحة أمام الجمهور ومنها وقف القرصنة وتخليص أوروبا من مصدر القلق والاضطراب. وبهذا عمدت إلى التركيز على السبب الأول بالنسبة إلى الرأي العام الفرنسي وعلى السبب الثاني بالنسبة إلى الرأي العام الأوروبي بالإضافة إلى وجود أسباب أخرى ثانوية منها الفرار من دفع دين كانت الجزائر قد أعطته إلى فرنسا بدون فائدة عام 1797م بينما كانت فرنسا تعاني من الحصار الانكليزي[15].

---

[13] ينظر: نفسه، ص369.

[14] نقل بتصرف عن محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري، ص 372.

[15] نقل بتصرف عن أبوالقاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

وما يمكن أن نختم به عن الأوضاع الجزائرية المختلفة قول الإبراهيمي: <<في الاستعمار الفرنسي عدة صفات من جهنم، منها أن من ابتلي به لا يموت ولا يحيا، فهو بعد أن جرد الجزائريين من أسباب الحياة، وتركهم حفاة عراة جياعا ليسهل عليهم العبودية المؤبدة للسادة الأوروبيين يعملون لهم ليلا نهارا في سبيل القوت المقتر فإن زاد فتح لهم طريق فرنسا للعمل بسواعدهم وعندما تثور ثائرة المعمرين لنقصان الأيدي العاملة في كرومهم الواسعة وحقول القمح المترامية الأطراف تعود الحكومة إلى استرضائهم بتحجير السفر على الجزائريين >>[16].

الجزائر، ص17.

[16] صالح خرفي، الشعر الجزائري، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص 145.

المبحث الثاني(2): بداية الإصلاحات من 1900.

لقد كانت المقاومات السياسية والثورات المسلحة وحرب العصابات خطرا دائما على فرنسا، ولذلك حاولت أن تقوم ببعض الإصلاحات خلال الحرب لتهدئ الجزائريين، فقد كتب المؤرخ الإنكليزي "أرنولد أي توينبي" قائلا:<< إن هذه الإصلاحات قد جاءت نتيجة للمبادرة الفرنسية "..وليس لضغط (قامت به) حركة سياسية منظمة من جانب الأهالي (الجزائريين) وقد أضاف:<< إن فرنسا قد قررت تلك الإصلاحات لكي تظهر اعترافها بالجميل للجزائريين>> .

فقد كانت الإصلاحات المسماة بقرار 4 و6 فيفري1919م محطة نهائية لرحلة طويلة بدأت سنة 1914م. كما كانت نتيجة مباشرة لضغط كبير من الحركة الوطنية وهو الضغط الذي بدأ منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر 1880 وفي نفس الوقت كانت هناك ضغوط خارجية على فرنسا للإصلاح في الجزائر، من هذه الضغوط الدعاية الألمانية التي تقول: " إن منطقة الأوراس ليست تحت السلطة الفرنسية "وثورة العرب في الشرق الأدنى ووقع مبدأ تقرير المصير والأحوال العامة التي خلفتها الحرب. وعندما قامت فرنسا ببعض الإصلاحات المتواضعة في الجزائر كانت في الحقيقة تستجيب لكل تلك العوامل، ولا سيما للضغط الوطني" [17].

ويبدو أن " توينبي" قد غض النظر عن الدور الذي لعبته الحركة الوطنية الجزائرية قبل وأثناء الحرب، ولكن علينا أن نعترف أن الجزائر لم يكن لها حركة سياسية منظمة تحت حكم قانون الأهالي(اعتبار فرنسا الجزائر قطعة فرنسية والجزائريون هم رعايا يخدمونها) والمحاكم الرادعة [18].

والحق أن الجزائريين قد بدأوا يطالبون بالإصلاحات منذ الثمانينات من القرن ما قبل الماضي، وقد قامت وفود مختلفة بين سنة 1900 و1914 بتقديم قوائم من المطالب إلى السلطات الفرنسية في باريس وكانت هذه المطالب تتضمن:

---

[17] فقد عبر الجزائريون الحملات الصحفية الهجرة.."- الضغط الوطني هي كلمة تدل على أي حركة وطنية مثل "الاحتجاجات–الثورات عن هذا الضغط بواسطة حركية إيجابية ومطالب معينة للإصلاح. وعبروا عنه أحيانا أخرى بواسطة حركة سلبية كاللجوء إلى الثورة والإرهاب والهجرة، عن أبي القسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية .

[18] نفسه، بتصرف، ص 271ـ 273.

- ❖ تخفيض الضرائب.
- ❖ إلغاء قانون الأهالي والمحاكم الرادعة.
- ❖ زيادة فعالية التمثيل النيابي في البرلمان .
- ❖ تحسين التعليم.

ومن بين الزعماء الفرنسيين الذين استقبلوا هذه الوفود (جورج كليمونصو، ريمان بوانكاري). وكلاهما قد قلد مناصب هامة أثناء الفترة 1914ـ 1918، وعندما بدأت الحرب كان بعض الجزائريين مازال يطالب بالإصلاح من فرنسا، وأصيب البعض الآخر بخيبة أمل كبيرة فترك ميدان النشاط متوجها إما إلى الشرق الأدنى أو إلى فرنسا كمهاجر وإما إلى الجبل كثائر فيعتبر هذا الأخير مصدر خطر جعل الفرنسيين يعيشون تحت شبح رعب دائم خلال فترة الحرب كما أن الشغب السياسي الجزائري والمقاومة المسلحة قد أقنعت فرنسا أن الوقت ناضج للإصلاح في الجزائر.

فخلال سنة 1914 قامت فرنسا بعدة محاولات كان من بينها صدور قرار 13 جانفي الذي وسع دائرة القسم الانتخابي الجزائري وقد تحقق هذا بوصية الحاكم العام ووزير الداخلية.

فكليمونصو قد وعد بالإصلاح سنة 1908 و بوان كاري سنة 1912، ولكن قرار 1914 كان استجابة للضغط الوطني وليس" شعور بالاعتراف بالجميل"، فقد عبرت تعديلات 1914 عن الحيرة الفرنسية إزاء الواقع الجزائري عشية الحرب وشعرت فرنسا بأن عليها أن تفعل شيئا لتمنع فرار الجزائريين إلى الجبال أو مغادرة أوطانهم حتى ولو كان ذلك لا يعني أي شيء في الحقيقة، ونريد التنويه إلى أنه قد ازداد اهتمام الفرنسيين بالإصلاح سنة بعد سنة، فكلما تضاعفت ضغط الوطنيين الجزائريين تحركت فرنسا نحو الإصلاح فهناك بعض الفرنسيين العاطفيين على الجزائريين الذين ضغطوا على بلادهم من أجل الإصلاح أو ذر الرماد في العيون قبل فوات الأوان و من هؤلاء أسماء معروفة " كليمنصو- جونار- وليغ فلاندان وفيري" الذين قاموا بهذه الحملة الإصلاحية من مقاعدهم النيابية[19].

إصلاحات جونار:

---

[19] نفسه، بتصرف ص273ـ 278.

يعتبر أحد المصلحين الذين حاولوا دراسة المشكل الجزائري(عدم التحقق بالحقوق وعدم المساواة في الضرائب وغياب الاستفادة من أرباح الميزانية)، فقد عارض الجزائريون التجنيس والتجنيد الإجباري وطالبوا لا بتعديل قانون الأهالي وقانون التجنيس، ولكن بإلغائهما تماما. فقد كانوا يريدون أن تحتفظ بلادهم بشخصيتها وثقافتها في وجه موجة الاندماج العارمة.

كان جونار عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي و نائب رئيس اللجنة الجديدة المنبثقة عن مجلس الشيوخ (24 نوفمبر 1915) لدراسة الأوضاع في الجزائر. فقد شكرت هذه اللجنة "الكولون" [20] والمخلصين الجزائريين على غيرتهم الوطنية وتعهدت بأن تدخل إلى الجزائر

فكرة العدالة والحرية ووضعت برنامجا قد احتوى على نقاط وهي قانون الأهالي والسياسة الإسلامية (السياسة الفرنسية في الجزائر) والقضاء الإسلامي والقضاء الفرنسي...[21].

وقد درج الحاكم العام جونار على تطبيق سياسة ثقافية أهلية واضحة، كان يهدف من ورائها إلى جلب طبقة من المثقفين إلى فرنسا من جهة، وجعلهم أداة إيجابية لبث رسالة فرنسا الحضارية التي لم تنل الجزائر إلا جوانبها السلبية وسط الجزائريين من جهة أخرى، كما أمر جونار كذلك ينشر أعمال جزائرية إسلامية وقررها على المدارس التابعة لفرنسا، وأمر من جانب آخر حكام الأقاليم ونوابهم على حمل الجزائريين على حضور دروس المساجد التي نظمها وأعطاها شيئا من الحيوية بحركة تعيينات في الوظائف الدينية وإلى جانب ذلك قام بتشجيع إحياء فن العمارة الإسلامي وبعث التراث المكتوب، والتقرب من طبقة المثقفين التقليديين(المحافظين) وتشجيعهم على القيام بمهمتهم التقليدية كإقامة الدروس في المساجد ونحوها كما عمل على تحديد برنامج التعليم العربية الفرنسية.

ولم يكن يتبنى جونار لهذه المشاريع الثقافية والإصلاحية بقصد الرفع من مستوى الجزائريين بقدر ما هو محاولة لتثبيت السيطرة الفرنسية على الجزائر، فهو الذي قال صراحة <<أن المدرسة الإبتدائية التي تعتبر في فرنسا أساس الجمهورية، هي أساس سيطرتنا في الجزائر>>. لقد كان لسياسة جونار الثقافية في

---

[20] أصلها فرنسي، وتعني بالعربية "المعمرين".

[21] نفسه، بتصرف، ص 282.

الجزائر أبعد الأثر على الحياة الثقافية متمثلة في دفع مسيرة الحياة الثقافية إلى الوجهة الفرنسية في تكوين ما اصطلح عليه تسمية جماعة النخبة[22].

[22] منطلقات وأسس الحركة الوطنية هدية من وزارة المجاهدين (1830–1945)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث رئيس المشروع خيثر عبد النور وآخرون. ص93ـ94.

المبحث الثالث(3):الحركة الوطنية (مظاهرها و مؤثراتها).

إن الوعي القومي لكل أمة يولد مع ولادتها ثم ينمو ويتكامل أو يفتر تبعا للظروف المحيطة بها، فهو وعي لا يمحى من ضمير الشعب ولا ينفصل عنه أبدا، ويمكننا إيجاز العوامل التي أقيضت الوجدان الوطني الجزائري في ظهور الحركة الوطنية فيما يلي:

1. الاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر منذ سنة 1830 وقضاؤه على السيادة الوطنية.
2. حرب الإبادة التي شنها المحتل على الشعب الجزائري.
3. البطش الاستعماري المستمر وسياسة التمييز العنصري التي وضعت الجزائريين تحت وطأة القوانين الاستثنائية التي خنقت حرياتهم.
4. أنظمة الإدارة الاستعمارية التي جعلت من المستوطنين الاستعماريين طبقة لها كل الحقوق والامتيازات ومن أبناء الوطن طبقة منبوذة، مضطهدة مسخرة للأولى.
5. قانون التجنيد الإجباري الذي فرض على الجزائريين فسبقوا مقتضاه إلى حروب استعمارية ليس لهم من ورائها إلا الموت والدموع.
6. انتهاج سياسة محو الشخصية الجزائرية بمحاربة الإسلام واللغة العربية وإلحاق البلاد بفرنسا.

المؤثرات البارزة قي الحركة الوطنية:

هناك مؤثرات فكرية ساهمت بقسط كبير في توجيه و بلورة الحرة الوطنية من أهمها:

1. حركة الإصلاح الديني والجامعة الإسلامية التي تزعمها في المشرق العربي "جمال الدين الأفغاني" (1838-1897) وتبناها من بعده الشيخ "محمد عبده" والسيد "رشيد رضا" وتأثر بها وتبناها في الجزائرالإمام "عبد الحميد بن باديس" ورفقائه من رجال جمعية العلماء المسلمين.
2. هجرة بعض الجزائريين إلى المشرق العربي وإلى فرنسا فقد تأثر النابهون من أولئك المهاجرين بحركات الوعي القومي في المشرق وأوروبا، تلك الحركات التي نشطت في القرنين التاسع عشر والعشرين.

مظاهر الحركة الوطنية:

عبرت الحركة الوطنية الجزائرية عن نفسها بمظاهر متعددة تبعا لمنطلقاتها النظرية وأساليبها العملية ويمكننا إجمال هذه المظاهر فيما يلي:

1. **المقاومة المسلحة:** وقد تمثلت في الثورات المنظمة وحركات المقاومة الشعبية بالإضافة إلى حرب العصابات الوطنية التي ظهرت خلال الحرب العالمية الأولى. وكان معظم رجالها من الجنود الجزائريين الذين فروا من الجيش الفرنسي والتحقوا بالجبال مع كامل أسلحتهم.

2. **الصحافة الوطنية المناضلة:** لعبت الصحافة الوطنية دورا كبيرا في نشر الوعي الوطني والثقافي بين صفوف الجزائريين وفي لتعريف بقضيتهم وتحديد مواقفهم من السياسة الاستعمارية و من أبرز هذه الصحف:

المغرب (1903-1913): وهي إحدى الصحف التي أصدرتها في جنيف لجنة استقلال الجزائر وتونس.

الجزائر: وقد أصدرها في العاصمة و باللغة الوطنية الفنان الجزائري" عمر راسم" 1908 وكانت تهدف إلى نشر الوعي الثقافي بين الجزائريين.

الفاروق: 1912 وهي جريدة أصدرها"عمر بن قدور" وكتبت فيها الكثير من الأقلام الجريئة التي تأكد على هوية الجزائر العربية الإسلامية.

المنتقد:1921 قد أصدرها الإمام "عبد الحميد بن باديس" وبعد منعها صدرت كمجلة تحمل اسم الشهاب[23].

الإقدام: وقد أصدرها باللغتين العربية والفرنسية الأمير"خالد الجزائري".

الأمة:1930 هي الصحيفة التي كانت ناطقة بلسان حزب "نجم شمال إفريقيا.

وادي ميزاب: أنشأها الشيخ"أبو اليقظان إبراهيم"، ولم تعش أكثر من عامين(1926-1929) بسبب إيقافها من طرف الفرنسيين.

البصائر: وقد ساهم في إصدارها الأستاذان "عبد الحميد بن باديس" و" محمد البشير الإبراهيمي"، وبعد تعطيلها لمدة طويلة أعاد الإبراهيمي إصدارها عام 1947م، وهي إحدى الجرائد التي كانت ناطقة بلسان جمعية العلماء المسلمين كما أنها تناولت بكل جرأة وصلابة قضايا المجتمع الجزائري ونددت بسياسة الاستعمار الإدماجية.

3.الجمعيات و النوادي الثقافية:

بدأ ظهور هذه الجمعيات والنوادي الثقافية منذ منتصف القرن التاسع عشر واتسع نشاطها العملي منذ مطلع القرن العشرين، ومن أشهر هذه الجمعيات والنوادي:

- الجمعية الرشيدية 1849 وكان مقرها الجزائر.
- نادي صالح باي1908 وقد تأسس في قسنطينة بهدف نشر التعليم، وتشجيع الثقافة.
- نادي الترقي1927 وقد كان المنتدى الفكري لطبقة المثقفين الجزائريين المشبعين بالروح الإسلامية العربية، ومن هذا الملتقى الذي نظم فيه الشيخ"بن باديس" ورابط

فيه الشيخ "الطيب العقبي" أكثر من عقد كامل محاضراته الفكرية أطلقت الدعوة إلى تنشئة الجيل الجزائري تنشئة جزائرية إسلامية عربية وطنية و بعث التاريخ الوطني ومحاربة البدع والدعوة للتمسك بالكيان الجزائري [24].

---

[23] عبد القادر زبادية الصادق الغولي وآخرون، تاريخ المغرب العربي الحديث، المعهد التربوي الوطني الجزائر سلسة التاريخ المدرسي، السنة الرابعة، ص101- 103.

المبحث الرابع(4): الحركة الإصلاحية (1925ـ 1931م)

نشوء حركة الإصلاح:

كان أحد الأهداف الرئيسية للاستعمار الفرنسي في الجزائر محو الخصائص القومية والروحية للشعب الجزائري تمهيدا لإدماجه نهائيا في الحياة الفرنسية. فقد بدأت فرنسا منذ الاحتلال تحارب الثقافة العربية، فقضت على مراكزها التي شهدت ازدهارا منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وصارت لا تسمح بفتح مدرسة أو مكتب لتعليم القرآن إلا بشروط قاسية منها:

1.أن يقتصر التعليم على حفظ القرآن مع عدم التعرض لتفسير آياته خاصة الآيات التي تدعوا إلى التحرر ومقاومة الظلم والاستبداد.

2.عدم دراسة تاريخ الجزائر والعالم العربي والإسلامي.

وفي نفس الوقت ركزت فرنسا جهودها على نشر اللغة الفرنسية والروح الفرنسية في المدارس الرسمية ومدارس الإرساليات التبشيرية، حيث اعتنت فيها بتدريس تاريخ فرنسا وحضارتها وعظمة جيوشها مع الحط من قيمة الحضارة العربية والإسلامية، وهدف فرنسا من ذلك خلق رعايا يخدمونها بأبدانهم وعقولهم واجتثاث جذور الشعب الجزائري الأخلاقية والروحية، وتجريده من دوافع المقاومة والنضال. ومن ناحية أخرى حاول الاستعمار الفرنسي أن يبث الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري عن طريق خلق أعوان من رجال الطرق وأصحاب الزوايا الذين سيطروا على الفكر الإسلامي والمجتمع الجزائري سيطرة مذهلة مما أدى إلى انتشار البدع والخرافات التي عطلت الفكر وشلت الطاقات الخلاقة في المجتمع، وكان من الطبيعي أن يحدث ذلك ردود فعل من طرف العلماء والمفكرين المخلصين الذين آلمتهم تلك الحالة وأقلق ضمائرهم سوء الحياة الاجتماعية فكانوا الرواد الأوائل لحركة الإصلاح[25].

عوامل الحركة الفكرية:

كانت هذه الحالة المتدهورة التي أصبح عليها المجتمع الجزائري أهم عامل تسبب في بعث الحركة الفكرية في الجزائر والقيام بالدعوة إلى الإصلاح ، إلى جانب ذلك فقد كانت النهضة العربية في المشرق وعودة الاتصال الفكري والثقافي بينه وبين المغرب العربي أثر كبير في نمو هذه الحركة ، ووقع ذلك الاتصال عن طريق الصحافة والكتب والمجلات والحج وعن طريق الطلبة الذين زاولوا دراستهم في الزيتونة ومصر، ثم زيارة الشيخ محمد عبده إلى كل من تونس والجزائر.

تطور الحركة الفكرية:

---

[25] تاريخ العرب الحديث والعالم(1516ـ 1939) المعهد التربوي الوطني، الجزائر ص37.

ظهرت بوادر الحركة الفكرية في الجزائر على يد جماعة من العلماء والفقهاء أمثال (عبد القادر المجاوي، محمد بن أبي شنب...) ولكن محاولاتهم كانت كلها جزئية فردية غير شاملة للوطن كله.

ولم تكتسب الثورة الفكرية والنهضة الإصلاحية صبغة عامة إلا في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس الذي ظهر في مقدمة المصلحين في أوائل القرن الحالي، وقد كرس حياته كلها لإحياء الروح الجزائرية وإعداد الأمة[26]، فهو يعتبر أحد المصلحين الذين توفرت فيهم كل المواهب والخصائص التي يجب أن تتوفر في المصلح المجدد، فهو شجاع القلب، ذكي الفؤاد حر التفكير في حدود الكتاب والسنة، فصيح اللسان، قوي الحجة ذو شخصية فذة لا يعبأ بالعقبات والمؤامرات ولا يبالي بالمحن والشدائد، وكان يقول: << إن الحياة الخالية من الأخطار والمتاعب لا تساوي شيئا..>>[(27)].

وقد أعلن ثورة منظمة ضد الجهل والاعتقاد الباطل وضد البدع والخرافات والعادات السيئة وضد أخطاء المسلمين وفي فهم الإسلام كفهم التوكل والتوسل والرزق والاستشفاء بالقرآن.

وبالرغم من محاصرة الاستعمار لابن بأديس وإلحاحه عليه دوما بسوء المعاملة، فإنه كان حذرا لبقا مرنا يتحرك ولا يتوقف ويحقق هدفه في هدوء، لكنه هدوء كله قوة وعزيمة ومقاومة وإصرار.

فحورب ابن بأديس من جهة الاستعمار على جهاده الإصلاحي والتجديد في الدين إذ أدرك أنه يهدف إلى إيقاظ الفكر وإضاءة الطريق إلى الغد المشرق حيث يدعو إلى الألفة التي تجمع والوحدة التي تقوي والقوة التي تفجر الثورة وتصنع الحرية، وحورب من قبل الطرقيين الذين يخافون من الضوء ويعملون دأبا على إبقاء الوضع على ما كان عليه.

وحورب من جهة العملاء الذين باعوا عقولهم وقلوبهم وضمائرهم للاستعمار الفرنسي والذين لا يحسنون إلا ما حسنه ولا يقبحون إلا ما قبحه، ولا يرضون إلا عمن رضي عنه.

والمصلح عبد الحميد بن باديس رفض النغمة التي كررها الفرنسيون على ألسنتهم المتمثلة في زعمهم أن الجزائر فرنسية[(28)]، حيث يقول: << إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها، وعنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين وهو الوطن الجزائري>>[(29)].

ظروف تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

---

[26] المرجع السابق، ص 38.

[27] محمد الصديق،المصلح المجدد عبد الحميد بن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر 2006، ص65.

[28] ينظر: نفسه ص66.

[29] ينظر: نفسه ص67 .

كانت ظروف قيام جمعية العلماء عديدة من بينها:

أولا: إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1931 جاء إثر احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلالها للجزائر، وهو احتلال أظهرت فيه السرور والفخفخة واستعراض القوة ما يدل على أنها لا تحتفل بمرور القرن فقط وإنما كانت تحتفل بتوصلها إلى القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية، وعلى المقاومة المسلحة[30].

ثانيا: حولت فرنسا المساجد إلى كنائس وإسطبلات ومخازن وهدمت الكثير منها واستحوذت على أوقافها وشوهت المعالم الإسلامية.

ثالثا: قضت على التعليم الوطني، واضطهدت اللغة العربية بتقليص عدد الكتاتيب ووضع قيود وتشريعات تحد من فتح أي كتاب أو مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية، وأيضا بمضايقة الزوايا التي كانت تعتبر بمثابة الثانويات، ولم تسمح بالتعليم فيها إلا بشروط خاصة وتحت مراقبة دقيقة بهدف القضاء على الثقافة الوطنية وبعثرة التراث، ومسخ المقومات.

رابعا: طبقت سياسة التفريق بين العناصر، وأرادت أن تخلق من سكان الجزائر شعوبا لا يربط بينها رابط .

وخلال الاحتلال الفرنسي أظهر الفرنسيون حقدا دينيا أو دعوة إلى الصليبية حتى أن أحدهم قال: << إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر، ولكنه احتفال بتشجيع جنازة الإسلام >>[31].

لقد أظهر الاحتفال القرني هذه الروح الصليبية التي عفى عليها الزمن وتجاوزتها الأحداث، وحدث نتيجة هذه الاستفزازات الدينية رد فعل لدى الجزائريين فالتفوا حول الإسلام وتشبثوا به أكثر من الماضي، إلا أنه لا بد من تنظيم يدافع عن الإسلام، ويقود المسلمين في طريق الإسلام الصحيح النقي البعيد عن الشعوذة والخرافات التي انحرفت بالإسلام، وأبعدت علماءه عن جادة الكفاح بينما كانوا في القديم أثناء المقاومة وخلال الانتفاضات القادة ورموز

الوطنية، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: << إن تجنيد العلماء كان قد توقف تقريبا في الجزائر كما لاحظ" دي توكفيل" حوالي منتصف القرن الماضي منذ الاحتلال. وقد لاحظنا أن هؤلاء العلماء الذين كانوا مهتمين ومضطهدين قد هاجروا إلى الشرق الأدنى وإلى الجارتين تونس والمغرب وبقي آخرون منهم في الجزائر، ولكنهم نموا شاكين في الإدارة الفرنسية ومادام بعض هؤلاء العلماء غرباء في وطنهم وطموحين من أجل المعرفة والزعامة فإنهم أصبحوا واعين سياسيا ومصلحين ليبراليين وعندما سمعوا

---

[30] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830–1954)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ص 109.

[31] نفسه بتصرف ص110- 111.

بحركة الجامعة الإسلامية في أواخر القرن الماضي انجذب بعضهم إلى المذهب الجديد وحاولوا أن يستعمله من أجل أهداف إصلاحية في الجزائر>>.

إذن فإنشاء" جمعية العلماء المسلمين" كان في الوقت المناسب وكان ضرورة قصوى تقتضيها الظروف والتحديات ردا على الإدعاءات الاستعمارية بأن عهد الإسلام انتهى، وبأن الثقافة العربية الإسلامية اندثرت ولم يعد لها وجود، وأيضا كان مناسبة لعودة العلماء إلى ميدانهم في القيام بواجبهم النضالي أسوة بزملائهم في الشرق العربي الذين ساهموا في إيقاظ الوعي الإسلامي. في مثل هذه الظروف ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتشكلت من عدة علماء من أبرزهم في ميدان الدعوة إلى الإصلاح: "عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي الطيب العقبي، والمبارك الميلي، إبراهيم بيوض..." [32].

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن ميلاد أي حركة كما يقول أبي القاسم سعد الله "هو عملية طويلة وفي بعض الأحيان مؤلمة قبل أن يستطيع الناس رؤيتها وتقديرها وبالفعل فان ميلاد جمعية العلماء المسلمين كان عسير الوضع، شاق الظهور ذلك أن إنشاء جمعية إصلاحية في بلاد كالجزائر تخضع لاستعمار ضاغط يحصي على الناس أنفاسهم، نولم يكن بالأمر الهين. ولكن ما جعل الأمر ممكنا هو وجود أشخاص مؤمنين إيمانا راسخا بالإصلاح، متأثرين بالوضع المتردي الذي يعانيه أبناء أمتهم، ولم يعد من دواء لهذا الوضع سوى النهوض بالمجتمع العربي في الجزائر، نهوضا يستهدف التغيير في الحياة السياسية والدينية والعقلية والاجتماعية.

وقد تأسست جمعية العلماء المسلمين يوم 5 ماي 1931 في نادي "الترقي" بالعاصمة إثر دعوة وجهت إلى كل عالم من علماء الإسلام في الجزائر، وهكذا انطلق نشاط الجمعية في تنفيذ برنامجها الذي كان قد ضبط محاوره الإمام عبد الحميد في الاجتماع الذي عقده سنة 1928 مع صفوة من العلماء الذين رجعوا من المشرق ومن تونس حتى يسهل الإشراف على متابعة العمل الإصلاحي وتنشيط العمل التربوي الذي يقدم في المدارس الحرة التي بدأت تنتشر في أرجاء
القطر، كلف الإمام عبد الحميد ابن باديس باقتراح من الجمعية الشيخ الطيب العقبي، بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري في العاصمة وما جاوره، وكلف البشير الإبراهيمي بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري بالجهة الغربية من البلاد انطلاقا من تلمسان[33].

---

[32] ينظر: نفسه ص111- 112.

[33] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، للكتاب المؤسسة الوطنية الجزائر 1985، ط1 ، 2007، ص94 .

وكانت الجمعية ممثلة في الجزائريين المتأثرين بالثقافة العربية الإسلامية، وقد آمن رجال الجمعية باعتبار النضال ضد الاستعمار جزءا لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، وأن التدهور الاجتماعي والسياسي والفكري الذي تعاني منه الجزائر لا يمكن التخلص منه إلا بإعداد وتنشئة جيل طموح يرى في الجزائر وطنا، وفي الإسلام دينا، وفي العروبة انتماء، وبما أن الإمام عبد الحميد بن باديس (1889ـ 1940) هو المحور الرئيسي لهذه الجمعية فإننا نجد كذلك مؤسسون آخرون نذكر منهم (الطيب العقبي- البشير الإبراهيمي- مبارك الميلي- العربي التبسي- توفيق المدني- محمد الأمين العمودي- إبراهيم بيوض- مولاي بن شريف- الطيب المهاجري - حسن الطرابلسي- عبد القادر القاسمي- محمد الفضيل اليراتني)[34].

وإذا كان عبد الحميد بن باديس البادئ في توضيح الدعوة فإن البشير الإبراهيمي كان المبرز في تحديد مواقف الجمعية في مقال له طويل بسجل مؤتمر جمعية العلماء حيث تناول الإبراهيمي مواقف الجمعية من (الطرقية- التعليم- البدع والمنكرات العامة- الإلحاد- التبشير) وبقية الرذائل.

ومما جاء في ختام مقاله الرائع قوله:<< جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تعلم، وتدعوا إلى العلم، وترغب فيه، وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتسر، وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية لأنهما شيئان متلازمان وتدعوا إليهما وترغب فيهما... وبالصفة الثالثة تدعوا إلى مكارم الأخلاق التي تحض العقل

الدين عليها، لأنها من كمالهما، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها وذم مقترفيها... وتعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت، وترشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية... والجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي أفرادا وشعوبا بما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم ومظاهرهم... وفيم عدا هذا فالجمعية الجزائرية محدودة بحدود الجزائر، مربوطة بقانون الجزائر، لأن أعضاءها كلهم من أبناء الجزائر... >> .

وسائل جمعية العلماء المسلمين:

اعتمدت الجمعية في القيام بدعوتها ورسالتها على نفسها، فجندت الجماهير وبذلت ما في وسعها لتثقيفها وتعليمها وتوعيتها مستعينة ومستعملة وسائل العصر الحديث منها:

الصحافة: بما أنها تعتبر من أهم وسائل العصر الحديث فقد اعتمدتها الجمعية في تبليغ دعوتها، وتوعية الرأي العام، وأنشأت نشراتها الأسبوعية ومجلاتها الشهرية، وتعرضت جميعها لمضايقات الإدارة الفرنسية ومن أشهر صحفها: الشهاب والبصائر[35].

---

34 نقل بتصرف عن محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الوطنية الجزائرية، ص106.

35 ينظر: نفسه ص115.

المدرسة: وبواسطة بناء المدارس خرجت الجمعية عن الطرق التقليدية المألوفة في الكتاتيب القرآنية، والزوايا المعروفة، وخاصة حينما جهزت مدارسها بوسائل عصرية حديثة ترغب الأطفال في تعلم دينهم ولغتهم، وتزودهم بالمعلومات العصرية الهامة وقد بلغت هذه المدارس شأنا عظيما حتى أنها تحولت إلى مزاحم ومنافس للمدارس الرسمية الفرنسية. ومن أجل ذلك تعرضت وتعرض معلموها والقائمون بها إلى المضايقات والملاحقات وربما يعود الفضل إلى هذه المضايقات في إقبال الشعب على بناء المدارس الحرة والتفافه حولها كقلاع للعروبة والإسلام.

النادي: من المعروف في العالم أن لكل ناد مهمة خاصة، أما النادي في الجزائر فله مهمات باعتباره مركزا من مراكز التربية والتعليم والتوعية أو مركزا من مراكز التثقيف والإعلام يلتقي فيه الشبان والشيوخ والمثقفون وكل الطبقات الشعبية، واستطاع بهذا اللقاء الواسع أن يقدم خدمات معتبرة في ميادين الإصلاح الديني والتوعية السياسية ونشر الثقافة العربية الأصيلة.

المسجد: كان المسجد قديما قلعة ومدرسة ونواديا... والاستعمار جرد من مهامه الأصلية التي يتمتع بها، وتتمثل في كونه قلعة يتكون فيها المجاهدون، ومدرسة يتعلم فيها الصغار مبادئ دينهم ويتفقه فيها الكبار ونواديا تلتقي فيه طبقات الأمة وتتبادل الآراء حول قضايا العصر ومشاكل الأمة. ولهذا كان المسعى الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تستعيد المساجد الإسلامية ماضيها المشرق في الدعوة وتأليف القلوب، وتوحيد الكلمة.

لقد عمدت على بناء مساجد حرة يعلو فيها صوت الحق ودعوة الإسلام لأنها دعوة تدعو المسلم إلى الاعتماد على النفس ونبذ التواكل والتخاذل[36].

دور جمعية العلماء في الإصلاح:

اتخذت جمعية العلماء شعارا لها وهو: << الجزائر وطننا والإسلام ديننا والعربية لغتنا>>

ووضعت نصيب عينيها تحقيق هذا الشعار بإنشاء جيش من الشباب يؤمن بوطنيته وعروبته ودينه. ولكي تؤدي هذه الرسالة بنجاح أصدرت جريدتها الأسبوعية "البصائر" إلى جانب مجلة "الشهاب" الشهرية، وأنشأت مدارس وأرسلت الوعاظ يجوبون المدن والقرى للقيام بالتعبئة الدينية ولقومية ومحاولة خلق كتلة عربية إسلامية واحدة[37] بالإضافة إلى هذا أنشأت جمعيات إصلاحية كالحركة الإصلاحية بالجنوب فسبقت نشأة جمعية العلماء بكثير، وتأسست فروعها في قرى (وادي ميزاب) عام 1925 والتيار الذي

---

[36] ينظر نفسه، ص116.

[37] تاريخ العرب الحديث والعالم ص42.

تمثلته هذه الجمعيات هو الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية، وإعداد النشء إعدادا وطنيا وأهم نشاطاتها:

1. إنشاء المعاهد الخاصة بتدريس الشريعة الإسلامية والأدب العربي مثل "معهد الحياة" في القرارة و"المعهد الجابري" في بني يزقن.
2. إنشاء الجمعيات الأدبية وإصدار الصحف بالغة الوطنية.
3. إيفاد البعثات العلمية فقد شجعت الجمعية طلابها على الارتحال في سبيل طلب العلم إلى جامعة الزيتونة وجامع الأزهر وغيرهما من الجامعات العربية للدراسات العليا[38]، وأول بعثة طلابية جزائرية نظمتها الحركة الإصلاحية انطلقت من واد ميزاب سنة 1914 .

خلاصة:

إن جمعية العلماء المسلمين هي أم الجمعيات الوطنية وخير جمعية أخرجت للجزائر في تاريخها الحديث وعملت على إخراجها من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن التقليد إلى التجنيد، ومن العبودية إلى الحرية.

وإذا كانت هذه الجمعية قد استجابت كغيرها من الجمعيات والأحزاب الوطنية لنداء الثورة و قامت بتجنيد نشاطها، فإن مكتبها ظل قائما إلى ما بعد الاستقلال، وقد استأنفت نشاطها في ثمانينات القرن العشرين بإعادة فتح أبواب نادي الترقي ليستأنف نشاطه العلمي والثقافي من جديد وهي تقيم به وبغيره حاليا الندوات والملتقيات وتخبئ الذكريات.

وقد واصلت الجمعية نشاطها وذلك بتأسيس نوادي ونذكر منها(النادي الإسلامي بالعاصمة، نادي الترقي بالبليدة، نادي الهدى بقسنطينة، نادي الإصلاح ببجاية، نادي الإخاء ببسكرة). وغيرها من النوادي التي انتشرت في ربوع الوطن حيث كان لها الأثر الكبير في نشر

الوعي الديني والشعور الوطني والتكوين المعرفي[39].

---

[38] محمد صالح الصديق، المصلح المجدد عبد الحميد بن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ص108.

[39] نقل بتصرف عن محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص 53- 54.

خلاصة:

لقد عرف الأدب إزهارا في القرن الحادي عشر هجري وخرج من نكسته ولكنه ويا للأسف قد رجع إلى هذه النكسة وبالرغم من أنه بقي محافظا على كيانه، فالمقري كان هو الأديب الذي مثل الحركة الأدبية حقا، أما في القرن الثالث عشر هجري برزت شخصية فذة هي شخصية "الأمير عبد القادر" فقد قدم لنا صورة عما وصل إليه المستوى العلمي في الجزائر في تلك الفترة إذ حرمت المرأة من حقها في التعليم، ولأن التقاليد آنذاك فرضت أن تصدها عن نوره.

وإن قضى الأمير أكثر أيامه في المعارك بين قعقعة السيوف و تفجر البارود فإنه قد وجد الوقت الكافي لكتابة الرسائل أو تأليف الكتب وقرض الشعر، فقد كان يحب الشعر ويراه زينة وحلية، فألف كتبا عديدة منها: كتاب في التصوف والإرشاد سماه "المواقف" وله ديوان قام بجمعه ابنه "محمد باشا"، وقد قسمه الدكتور"ممدوح حقي" إلى فخر وغزل ومسجلات وتصوف بالإضافة إلى النثر من خطابه.

وإن كانت تدل النماذج الشعرية والنثرية على أن الأدب أخذ ينجو من نكسته في هذه الآونة ويتطور حتى عاودته نكسته بسبب سياسة التجهيل التي سلكتها فرنسا في بلادنا، فأخذت تخرب القيم الروحية وتصد الشعب الجزائري عن الثقافة العربية وتمنع اتصاله بإخوانه العرب شرقا وغربا وفرض ثقافتها من أجل قتل اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائها في الجزائر لأهمية اللغة بين مقوماتها القومية وغيرها من السياسات التي قد اضطرت الأدباء إلى الانكماش والأدب إلى الركود مدة طويلة، ولكنهم لم يقدروا أن يميتوا اللغة العربية التي ظلت حية تدعوا أهلها إلى مواصلة الكفاح والذود عن الكيان، فتمسك الشعب بلغته مما أمكن نفرا المثقفين أن ينفلتوا من تلك الحواجز فلجأت فئة منهم إلى تونس وأخرى إلى مصر، فتعاطوا كلهم الأدب وحملوا عند عودتهم إلى بلادهم ما شاء الله من التراث الأدبي العربي وأمكن للآثار الأدبية من شعراء الشرق أن تدخل إلى الجزائر ثم قامت الحرب العالمية الأولى، وما انتهت حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة الموارد قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة فأخذ الأدب ينهض من عثرته متثاقلا وتكونت نخبة لأبأس بها من الشعراء اتجهوا إلى أنفسهم يبحثون عنها وإلى الزمان يحملون ما يقاسون من شقاء وما يلاقونه من حرمان، فذهبوا إلى تونس ليطلبوا العلم فإذا بهم وحدوا الصحافة والمجلات التونسية والوسط الثقافي التونسي مجالا رحبا لتفجير مواهبهم الشعرية.

الفصل الثاني: البعثات العلمية وأثرها في الأدب الجزائري الحديث

تمهيد:

يصح القول في البدء بأن البيئة الثقافية التونسية كانت منطلقا من المنطلقات الأساسية لظهور أبرز الشعراء الجزائريين المعاصرين، الذين جاءوا إلى تونس مجرد طلاب علم وافدين على جامع الزيتونة، فإذا بهم يجدون في الصحافة والمجلات التونسية والوسط الثقافي التونسي مجالا رحبا لتفجير مواهبهم الشعرية وكتابة مختلف أنماط القصائد وخاصة منها القصائد القومية والنضالية.

ومن هؤلاء أبو اليقظان (إبراهيم بن الحاج عيسى) ، ومحمد العيد آل خليفة ومفدي زكريا ورمضان حمود، وصالح بن صالح خرفي، عبد الله شريط، محمد الأخضر السائحي والسعيد ناجي الزاهي... وآخرون.

إن هذه البيئة الثقافية التي نشأ فيها الأدب الجزائري هي التي تحدد لنا المعالم الأساسية لهذا الأدب الذي كان منذ نشأته يؤكد وطنيته الجزائرية، وإخلاصه لانتماءاته المغربية والعربية ، فقد كانت الزيتونة التي تخرج منها هؤلاء الأدباء معقلا من معاقل الوطنية ورحابا للعروبة والإسلام، كما كانت الصحافة التي ارتبط بها هؤلاء ونشروا فيها معظم إنتاجهم الأدبي صحافة وطنية تحمل لواء الدعوة إلى النضال الوطني، وتحامي عن وحدة الكيان المغربي وأمشاجه العربية الإسلامية.

فقد ترعرعت تلك النخبة من المهاجرين في بيئة ثقافية وطنية مكنتهم من التعبير بصدق وعمق عن الوطنية الجزائرية، وعن القضايا المغربية والعربية، حيث كان لها الفضل في تكوين طلبة البعثات من الناحيتين العلمية والفكرية باعتبارها البيئة التي ترعرع فيها هذا النشاط الزاخرفي وهذا يقول صالح خرفي: << ولو أعطينا الأولوية للبيئة العلمية التي تخرجت فيها الطليعة لجأت تونس في الدرجة الأولى ففي(جامع الزيتونة) درس أو تخرج أغلب شعرائنا الأوائل، والشاعر الجزائري في تونس لم يكن يكتفي بدور الطالب الذي يتلقى الدرس ثم يتأبط كتبه صوب مسكنه، وإنما يساهم مساهمة فعالة فيما كانت تزخر به تونس في أعقاب الحرب وبعد رفع الحصار على الصحافة سنة 1920 من نشاط فكري وديني وسياسي>>[40]".

---

[40] د محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2005م 1426هـ ، ص15.

المبحث الأول: بداية البعثات العلمية

اتسم التبادل العلمي بين القطرين التونسي والجزائري في أواخر القرن التاسع عشر بالركود والانكماش بسبب استيلاء الاستعمار الفرنسي على الجزائر في 1830م ثم استيلاءه على تونس في 1881 م إذ كان من أهداف هذا الاستيلاء تجريد الشعب الجزائري من كل المقومات المعنوية التي تمكنه من التعبيرعن مناهضة الوضع السائد ووعي الحالة التي يعيشها، وأيضا قطع أواصره الثقافية، وحرمانه من كل تبادل علمي مع الأقطار المجاورة أو العربية الأخرى.

وللوصول إلى هذه الغاية انتهج الاستعمار منذ البداية سياسة الاجتثاث العرقي والثقافي التي تبرز بجلاء في محاولته "القضاء على العروبة كجنس وعلى الإسلام كدين وحضارة وثقافة"[41].

ثم التركيز على ضرب اللغة العربية ومنع انتشارها بالمدارس، وفرض حصار صارم على عبور الصحف والمجلات وسائر المطبوعات العربية إلى المواطن الجزائري، وتعزيز الحدود بحواجز عسكرية تحول دون تواصل الهجرة في اتجاه المعاهد والجامعات العربية المختلفة .

فكانت الظروف والأوضاع الداخلية مضطربة حيث قادت صدمة الاحتلال الفرنسي التأمل في تحليل الأوضاع واستقراء الأسباب التي أدت إلى هذا الاحتلال ولم يكن من العسير التوصل إلى أن السبب الرئيسي في كل ما حدث هو التقهقر الفكري الذي لا سبيل للخروج منه إلا بالتعليم. ودفع الأجيال الجديدة للمثابرة على طلب المعرفة كي نلتمس طريق الخلاص ولو بتحمل شتى الصعاب .

وهكذا ما إن نجحت الأحوال السياسية إلى الاستقرار حتى استؤنف التبادل العلمي بين البلدين فكانت رحلة بن "باديس" التاريخية في اتجاه جامع الزيتونة سنة 1908 طليعة الرحلات في مطلع هذا القرن. وكان الجسر الذي امتد لتعبرعليه كل البعثات التي تتابعت بعد هذا التاريخ بتحريض و دفع منه وبالتالي كانت فاتحة ما يمكن أن يطلع عليه(طور البعثة) [42].

انطلقت مرحلة البعثة عقب عودة "بن باديس" إلى مسقط رأسه قسنطينة سنة1912م وانتصابه للتدريس في الجامع الأخضر وجامع سيدي قموش، فمنذ تلك السنة كان قد تهيأ لإعداد خطة سياسية علمية تكمن الجزائر من المحافظة على صعودها الثقافي ومقوماتها الحضارية العربية فأخد يصفي النجباء من التلاميذ و يهيئهم لأول بعثة علمية جماعية اجتازت الحدود في

سنة 1913م لا تحقق الحلم المرجو إلا بعد الفترة، وبعد الحرب مباشرة توالت البعثات تباعا في

---

[41] محمد صالح الجابري، النشاط علمي والفكري للمهاجرين الجزائريين تونس 1900–1962،الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983، ص33.

[42] نفسه بتصرف، ص 33-34 .

مجموعات قليلة ولكنها كانت مجموعات منتقاة من أفاضل الدارسين ممن سما بهم الطموح العلمي وتميزوا بالحيوية والنجابة ويمكن أن يجد في أوائل هذه الباديسية المجندة لتكون القاعدة الأساسية التي تقوم عليها دعودة الإصلاح ومقاومة المستعمر وجوه من كبار علماء الجزائر والعروبة أمثال محمد مبارك الميلي، العربي التبسي، السعيد الزاهري، عبد السلام قسنطيني محمد العيد آل خليفة ، وهم الرعيل الأول الذي درس في الزيتونة وتخرج منها بين سنتي1924ـ 1925 وكانوا من بين أوائل طلبتها وعرفوا في الأوساط الزيتونية من خلال مساهمتهم الأدبية والفكرية في مجال الكتابات الصحفية والتجمعات العامية.

وسرعان ما تلت هذه البعثة أفواج من المتتابعة برز من بينها في صف جمعية العلماء في الثلاثينيات "حمزة بوكوشة "،" محمد خير الدين"، "فرحات ابن الدراجي"، وآخرون ممن قاموا بدور بارز في سبيل نهضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودعم أركانها [43].

وقد أكد البشير الإبراهيمي في أحد مقالاته على الحاجة إلى الاتصال بإخواننا في الشرق لأن بيننا وبينهم أرحاما يجب أن تتعاطف، وحبالا من التاريخ رمتها الأيدي العادية بالوهن والارتخاء حتى أوشكت أن تتقطع، ونحن في حاجة شديدة إلى إمدادهم إيانا بما نحن أفقر فيه منهم، إلى معرفة أحوالنا، حتى نتعارف على بصيرة، وإن أوثق أسباب هذا الاتصال هو هذه البعثات العلمية التي نجهزها للشرق العربي كما نجهز البعوث ليمتزج أفرادنا بإخوانهم فتتقارب الأمزجة، وتنمو الفضائل الأصلية في الفريقين وهي فضائل الإسلام وتمحى الرذائل الدخيلة التي ابتلانا بها الغرب ليهلكنا ويملكنا، وأكبر جوالب الامتزاج من جهتنا أن يكون العنوان الذي يقرأه إخواننا من صحيفتنا دالا دلالة صادقة على حقيقة ما وراءه وأن تكون الطلائع الأولى من طلابنا هي ذالك العنوان، وأن يكون صورة مصغرة من جمعية العلماء في إيمانها جهادا وصلاحها وإصلاحها.

وجمعية العلماء لم تنس أن حسن الاختيار مفتاح السداد، وإن ميزان الكمال دائما هو الدين، وأن الجانب الديني والخلقي له الاعتبار الأول في تلميذ البعثة لأنه سفير أمة، فهو إما رافع لقدرها وإما خافض[44].

---

[43] نفسه بتصرف، ص 36ـ37 .

[44] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4 (1952ـ 1954) دار الغرب الإسلامي ط1 سنة1997، ص330–331.

المبحث الثاني: أثر البيئة التونسية في تطوير شعرهم:

إن البيئة الثقافية التونسية هي التي مكنت لأصوات الشعراء الجزائريين طوال نصف قرن من الزمن أن تعلو على جدار الصمت المضروب، وتخرق الحصار الذي فرضه الاستعمار وتغلب كل الصعوبات التي كانت تحول بينها وبين النقاد إلى الجمهور الجزائري لتعود إليه عبر الصحافة والمجلات التونسية رجع صدى متعدد الأصوات بطول الساحة المغربية، هذه الظاهرة الفريدة في تاريخ الفكر العربي، وفي تاريخ الجوار والصلات لا تستدعي الوقوف عندها لمجرد انفرادها كظاهرة أدبية ولكنها تستحق الدراسة والاهتمام باعتبار أن البيئة التونسية نظرا للدور الذي تلعبه في هذا الصدد، ستظل بدون شك تفخر بكونها النابع الأول لهذا الشعر، والمصدر المستوعب لكل شتات هذه القصائد التي أسعفت الظروف لبعض الشعراء فضموها إلى دواوينهم المنشورة، ولم تسعف آخرين لأسباب متعددة، فظلت قصائدهم ومقطوعاتهم نثارا بين هذه الصحف والمجلات، والأمر الذي يجعل دراسة هذا الشعر الجزائري دراسة مستفيضة ومستوعبة، فقد امتاز الشعر بميزات نادرة ذلك أنه انطلق من بداياته قوميا عربيا إسلاميا وكان شعراؤه يستجيبون بسخاء واندفاع لكل الأحداث والمواقف العربية الإسلامية و يؤكدون هذا الاتجاه قبل تأكيدهم الخصوصية الجزائرية والوطن الجزائري وذلك على خلاف شعراء العرب الآخرين الذين كانوا يرتبطون بالوطن أولا، ومن ثمة ينزعون النزعة القومية أو الإسلامية.

إن الشاعر الجزائري الذي عاش مهاجرا مكرها بالفكر والجسد معا كان يرى خلاص وطنه أبعد من الرقعة الجزائرية والجغرافية الوطنية المحدودة، فهو المغرب العربي أولا وهو الوطن العربي قبل ذلك[45]، هذه الدعوة العربية الإسلامية التي تبناها الشعراء العرب المعاصرون منذ مطلع القرن العشرين تبلورت بجلاء فيما بين الحربين ثم أصبحت عقيدة وفكرا منذ الخمسينات، كان الشاعر(عمر بن قدور) قد بادر إلى الإصداع بها في شعره في بداية العشرين مجددا في بعض قصائده نزعته العربية الإسلامية، تلك النزعة التي برزت بجلاء في قصائد المتأخرين عنه، وبالذات في الشعر الذي مهد لقيام الثورة وعدا إليها واستنهض لها الهمم في النفوس، كشعر مفدي زكريا في الثلاثينات ومحمد الأخضر السائحي في الأربعينيات، وصالح خرفي وآخرون من شعراء مرحلة الثورة على أن هذا الشعر كان أيضا صورة للأخلاق العربية الإسلامية بدعوته للنخوة والثأر والاعتزاز بالنفس والتحرر من المستعمر، كما كان مظهرا

---

[45] د.محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2005 م 1426هـ، ص 15.

من مظاهر وفاء الجزائريين لحق الأخوة والجوار، بارتباط بعض شعرائه بالحركات الإصلاحية والسياسية بتونس، ومقاسمتها الاضطهاد والسجون مثلما حصل لأبي اليقظان[46].

فقد صهرت الحياة الثقافية التونسية كل من رمضان حمود و سليمان بوجناح أدباء فتحت آفاقهم على ألوان من المعرفة، فلم يقتصر دورهم على تعبئة المشاعر الوطنية والعمل من أجل بعث الجزائر، وتحقيق الرغبات الوطنية، وإنما كانت لهم مساهمات نشيطة في محاولات الفكر والصحافة بتونس تجاوزت خدمة المطامح الوطنية إلى خدمة التراث العربي والإسلامي والمساهمة في إثرائه وتعميق نزعته الإنسانية، فقد أسمعوا العالم أصواتهم من خلال الصحافة التونسية أولا، ثم الصحافة الجزائرية فيما بعد وفاجأوا بقصائدهم الثورية الرائعة العالم العربي، وعبروا من خلالها عن الثورة وأبعادها وصوروا معاناة الشعب الجزائري لمختلف ضروب الظلم والطغيان، فتفاوتت صيغ أشعارهم وتنوعت آراؤهم وقويت جلادهم فالانتماء إلى الزيتونة هو الذي لا يجمع بين أصواتهم و يؤلف بينها[47].

ولعل هذا العطاء الذي قدمته الزيتونة للجزائر وأبنائها وللعروبة والإسلام هو الذي جعل أغلب البعثات تعرب عن وفائها وتقديرها الحميم وتتحلى بروح العرفان بجميلها، فما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب والإصلاح الديني هي أيضا مدينة لها، فكان لها فضائل عديدة على أبناء الشمال الإفريقي عامة[48] حيث يقول الطالب عبد اللطيف بن علي القنطري في هذا

الصدد:<< إن الكلية الزيتونية لها الفضل الكبير على أبناء الشمال الإفريقي عموما أيا كانوا وذلك أننا نرى في كل سنة ما تنتجه من خيار الشبيبة المتنورة أفكارهم وهم مع بعض خريجي المدارس تعلق عليهم الأمة آمالها في إحياء لغتها >>.

وكذلك من مظاهر العرفان والتقدير تلك الشهادة المقتطفة من مقال بعنوان (فضل الزيتونة على الجزائر) للحبيب وناسي أحد الطلبة الجزائريين الذين درسوا بالجامع في الخمسينيات وساهموا في الكتابة في الصحافة التونسية فقد ذكر ما للزيتونة من الأثر والفضل للجزائر في قوله: << وللزيتونة والحق يقال فضل على الجزائر في الميدان الثقافي، إذ لا ينسى ناس أن الجزائر محرومة من التعليم العربي كلية، بل اللغة العربية غير معترف بها وهي تعامل معاملة سيئة والتعليم جريمة يعاقب عليها بأبشع العقوبات>>[49].

---

[46] ينظر: نفسه، ص 32- 33.

[47] محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس(1900-1962)، دار العربية للكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، سنة 1983، ص 49- 51.

[48] نفسه بتصرف، ص 51-53.

[49] ينظر: نفسه، ص54 .

المبحث الثالث:

الخصائص الشعرية عند "مفدي زكريا" "رمضان حمود" " سليمان بوجناح"

إن الجزائر أم ولدت لنا مفكرين وروادا وأدباء استطاعوا أن ينحتوا أسماءهم بأظافرهم وهم يتسلقون دروب الحياة الوعرة ويعانون المصاعب الجمة ويقاسون مشقة الاغتراب والهجرة من أجل خدمة الجزائر وإخراجها من الظلمات إلى النور.

ومن بين هؤلاء الأدباء الذين يعدون أحد رموز نهضتنا الأدبية ورجالا صالحين من تربة الجزائر الطيبة : " مفدي زكريا" "رمضان حمود" "سليمان بوجناح" ويعد هؤلاء أبرز طلبة البعثة العلمية الجزائرية التي اتجهت إلى تونس عام 1922.

فمن هو مفدي زكريا ؟

أولا: مفدي زكريا

1. مولده و نشأته:

اسمه الحقيقي زكريا بن سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج سليمان ولقبه "الشيخ" أو"آل الشيخ"، وعن جده الحاج سليمان هكذا ورثت العائلة لقب آل الشيخ، فقد كان أحد شيوخ مدينة بني يزقن يترأس الإتحاد الميزابي أيام كان وادي ميزاب تربطه بالسلطة العثمانية المركزية معاهدة حماية، ويتمتع في الباقي باستقلاله الذاتي، ففي حضن هذه العائلة الماجدة ولد زكريا في جمادى الأولى من سنة 1326هـ الموافق لـ 1908م ببلدة بني يزقن ولاية غرداية جنوب الجزائر. وفي مسقط رأسه بدأ خطواته العلمية الأولى، أدخله والده الكتاب حيث حفظ جزءا من القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والفقه، وعندما بلغ السابعة من عمره صحبه معه والده إلى مدينة عنابة حيث كانت تجارته، وفيها أتم حفظ كتاب الله ولم تنتظم دراسته في هذه المرحلة لأنه كان يتردد بين عنابه ومسقط رأسه. واستمرت حاله على ذلك إلى أن تخلى والده عن تجارته وارتأى حوالي سنة 1922 م أن يبعث بابنه إلى تونس، حيث التحق بمدرسة السلام القرآنية مدة سنتين نال خلالهما شهادة ابتدائية في اللغة العربية ومبادئ في اللغة الفرنسية، ثم انتقل إلى الخلدونية حيث درس مواد علمية كالحساب والجبر والهندسة والجغرافيا، ثم تحول إلى جامع الزيتونة وبه جلس إلى أساتذة كبار ودرس كتبا في الاختصاص تتعلق بالنحو، والبلاغة والأصول وكان يتردد في هذه الأثناء على مدرسة الترجمة العليا لحضور مسامرات الأستاذ العربي الكبادي. كما كان يتلقف ما يصل إلى تونس من مجلات شرقية تبعث النخوة والوطنية فيتشربها ويتخذ مواضيعها مجالا للتدرب على الإنشاء والكتابة نثرا وشعرا. وكان يعرض شعره على أساتذة في البعثة العلمية الميزابية بتونس لتقويمه حتى انقاد له القريض.

وقد أظهر زكريا حبا واجتهادا في التحصيل، ولاحظ فيه أساتذته ذكاء ونجابة وقد أطلق عليه أستاذه "الحطاب بوشناق" لقب "مفدي" تعبيرا عما كان يراه في تلميذه من نجابة، وشاعرية ولطف وإحساس، وحلاوة معشر. ولعل زكريا نفسه وجد في هذا اللقب ما يرضي طموحه الأدبي والوطني فاتخذه منذ ذلك التاريخ 1926م[50] اسما له فأصبح "مفدي زكريا"، ولعل في مطلع نشيد حزب الشعب (فداء الجزائر روحي ومالي) وفي قوله سنة 1935م. << وطني بروحي أفتديك ومهجتي ودمي الشريف مبرة ووفاء >> تعبيرا عن الاعتزاز بهذا الاسم.

ومنذ عهد التلمذة بتونس بدأ مفدي يكتب الشعر معتمدا في ذلك على مواهبه وميوله وحده واجتهاده كما يقول: << وأما الشعر فأنا فيه أستاذ نفسي، غير أني أعرض بضاعتي على أساتذتي رؤساء البعثة الميزابية ولقد قرأت الزحافات والعلل والدوائر على شاعر الخضراء العبقري شاذلي خزندار، وفي اطلاع شخصي على العروض والموازين، ولقد شغف حبا بالآداب طفلا وبتاريخ الأبطال من عظماء الأوطان >>[51].

وما من شك في أن السنوات الدراسية الخمس التي قضاها بتونس ما بين(1922ـ 1926) هي التي كونته هذا التكوين الأصيل ووجهت حياته هذا التوجيه الأدبي والسياسي بعد ذلك وفيما يبدو أن هناك ثلاثة عوامل أساسية نبغ من خلالها الشاعر ألا وهي:

العامل الأول: جو البعثة التونسية إذ النشأة العربية الإسلامية الأصيلة التي نشأ بها مشايخه قد تركت في نفس أبعد الآثار، ورسخت في أعماقه حب الإسلام والعربية والوطن، وكره من يحاول المس بهذه المقدسات أيا كان لا سيما أن أولئك المشايخ كانوا يقدمون النموذج العملي لتلامذتهم الذين كانوا جميعهم أعضاء مناضلين منخرطين في صفوف الحزب الحر الدستوري تحت زعامة الشيخ"عبد العزيز الثعالبي" ورغم سرية أعمالهم فلم يخف عن الفتى الذكي أن يدرك أبعاد ما يجري من حوله. فكان يشاهد الزعماء الكبار من أمثال "الثعالبي، الباروني، الرياحي" يفدون على دار البعثة ويستقبلهم الطلبة بحفاوة، ويجلسون إليهم في محاضرات أو ندوات تدور كلها حول ترسيخ معاني الاعتزاز بالدين والشخصية والعمل على تحرير الوطن من أعدائه وعن هذا الأثر الذي تركته تلك الأجواء في نفسه يقول: "درست على هؤلاء دروسا دينية وأخرى في الوطنية والتضحية في سبيل الوطن العزيز والأمة المجيدة... [52].

وكان زكريا في هذه الأثناء يقرأ المجلات والصحف الواردة من المشرق العربي ويشترك هو وزميله "رمضان حمود" في مناقشة محتوياته كما كان يشرف على مجلة "الوفاق" التي اتخذها الطلبة بالبعثة

---

50 د.محمد ناصر، مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة، نشر جمعية التراث العطف(غرداية) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر1989، ص8.

51 ينظر: نفسه، ص9.

52 ينظر: نفسه، ص9.

مجالا للتباري والتنافس وتدريب الأقلام وبعث المواهب الشابة الصاعدة، وفي المجلة ترك مفدي إنتاجا غزيرا شعرا ونثرا يمثل مرحلة الطفولة الأدبية أحسن تمثيل.

ويبدو أن هناك مؤلفا ترك بصماته الواضحة في ذاكرة مفدي زكريا وهو دراسة عن حياة"مصطفى كامل" وجهاده للاحتلال الانجليزي. فقد كان معجبا بهذه الشخصية منكبا وزميله رمضان حمود على قراءة كل أجزاء الكتاب إلى جانب قراءتهما إنتاج جبران خليل جبران وشعر مدرسة الإحياء ولا سيما أميرها أحمد شرقي.

العامل الثاني: هو عمه الشيخ صالح بن يحي والزعيم الثعالبي، أما عمه فهو يعد بحق أحد الأقطاب الثلاثة الذين أسسوا الحزب الحر الدستوري التونسي، فقد قدم له كل ما يملكه من مال وحماسة و تعاطف. واعتقل من أجل نشاطه الوطني مع زميله عبد العزيز الثعالبي وهكذا نشأ زكريا في بيت عمه نشأة وطنية منذ نعومة أظافره وتلقى مبادئها عن الزعيم الثعالبي الذي كان لا يفارق بيتهم[53] حتى أن مفدي زكريا ظل يحفظ توجيهاته ووصاياه، وكان يرددها في مناسبات عديدة، وقد عبر باعتزاز شديد عن تتلمذه لهذا الزعيم الوطني يوم استقبله بقصيدته الرائعة بمناسبة عودته من المنفى سنة 1937م بعد غياب دام خمس عشرة سنة مبايعا إياه بالزعامة، معاهدا على المضي قدما في النضال والمقاومة "يا زعيم الشمال والشرق يا من ملأ الشرق والشمال جهودا إن شعب الجزائر اليوم قد جاء، يهني لواءك المعقودا، يهنيك باسمه حزب شعب في المبادئ قد كان منك وأبدا فهو من روحك العظيمة جزء فتقبل من بعظك التمجيدا"[54].

العامل الثالث: هو الجو الوطني الحار الذي كانت تعيشه تونس في العشرينات ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد عرفت هذه الفترة بطابع المجابهة بين القوى الوطنية وسلطات الاستعمار واتخذت مظهر المظاهرات والاضطرابات والكتابات الصحفية الحارة مطالبة بالحقوق وتنديدا بالعنف والظلم بالإضافة إلى الروافد الشرقية فكل من هذه العوامل مجتمعة تضافرت على نشأة الشاعر نشأة وطنية وأثرت فيه تأثيرا قويا حين وجهته منذ يفاعته إلى هذه الوجهة التي تميز به شعره فيلحظ كيف أن حياته الأدبية اتصلت اتصالا جذريا بنشاطه السياسي الوطني.

وهكذا ظل في تونس يعب من جوها الثقافي ويستفيد علما وتجربة من جوها السياسي إلى أواخر سنة 1926 م حين استدعاه والده ليتزوج وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ويبدو من مجريات حياته أنه انقطع فترة عن الدراسة بل لعل دراسته لم تنتظم بعد ذلك إذ يدل إنتاجه الشعري الذي نشره في السنوات (1927– 1930 م) بجريدتي الشهاب، ووادي ميزاب أنه كان متوحدا في الجزائر مشاركا في

---

[53] نفسه، بتصرف، ص9–10.

[54] ينظر: نفسه، ص10.

أحداثها متتبعا لتطوراتها الاجتماعية والسياسية ولا سيما في إطار الحركة الإصلاحية التي أخذت تشق طريقها بعزم في هذه المرحلة ومهما يكن من أمر، فإن زكريا بعد رجوعه من تونس لم يتسلم وظيفة عملية فيلتحق بمدرسة حرة أو ينشأ صحيفة عربية كما كان شأن العديد من المتخرجين في تونس. وإنما توجه إلى العمل في الميدان التجاري منجذبا إليه تحت إلحاح بيئته الصحراوية القاحلة وحاجته إلى موارد اقتصادية يكسب منها رزقه وهو ما جعله يتحمل الاغتراب إلى مدن الشمال والغرب والشرق الاتجار. وهكذا عرف مفدي منذ طلع شبابه مرارة الكفاح في سبيل لقمة العيش ولقي في سبيلها الإرهاق والتعب. فقد عمل في مجالات تجاربه متعددة في كل من قسنطينة والجزائر منتقلا من محل لمحل، وأسهم في مشاريع تجاريه أخرى كثيرة ولم يكتب له النجاح والربح في أغلبها والذي يبدو من خلال تطورات حياته والأعمال التي تقلب فيها أنه لم يستطع الابتعاد عن ميدان السياسة والثقافة، والشعر، والفن وما إليها لحظة واحدة، ولعل هذا كان من أهم الأسباب في عدم نجاحه في الميدان التجاري الذي امتهنه طوال حياته،على أن انشغال مفدي بأعماله التجارية الخاصة لم يشغله قط عن المشاركة في الحياة السياسية التي عرفتها الجزائر ولا سيما بعد الاحتفالات الاستعمارية السنوية لاحتلال الجزائر[55].

فنجده في سنة1933م يؤسس بالعاصمة هو وجماعة من التجار جمعية "الوفاق" التي أصدرت جريدة باسم (الحياة) وأسندت إدارة تحريرها إلى مفدي فكانت متعددة الاهتمامات فهي اجتماعية وثقافية واقتصادية وأدبية أيضا، ولكنها لم تستمر طويلا، وكان من المتحمسين للحركة الإصلاحية التي تمثلها جمعية العلماء يؤيدها بشعره ومقالاته، ويقف مناهضا لكل الحركات المضادة للاتجاهات الوطنية.

وأثناء تواجده بتونس واختلاطه بالأوساط الطلابية هناك تطورت علاقته بأبي اليقظان وبالشاعر رمضان حمود، وبعد عودته إلى الجزائر أصبح عضوا نشطا في جمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا المناهضة لسياسة الإدماج وانخرط في حزب نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري. وكتب نشيد الحزب الرسمي" فداء الجزائر"، اعتقل من طرف السلطات الفرنسية في
أوت 1937 رفقة مصالي الحاج وأطلق سراحه سنة 1939 ليؤسس رفقة باقي المناضلين جريدة الشعب لشن حال حزب الشعب، اعتقل عدة مرات في 1940م (6أشهر) وبعد خروجه من السجن انخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، انضم إلى الثورة التحريرية في 1955م، عرف الاعتقال مجددا في أفريل1956 سجن بسجن بربروس مدة 3 سنوات وبعد خروجه من السجن فر إلى المغرب ثم إلى تونس أين ساهم في تحرير"جريدة المجاهد" إلى غاية الاستقلال[56]، فكان من تونس يدعو بحرارة إلى توثيق عرى التوحيد بين شعوب المغرب العربي ويعمل من أجل تحرير كل أقطاره من العدو المشترك

---

[55] ينظر: نفسه ص 11- 12 .

[56] مفدي زكريا، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، بوابة الجزائر، تصفح مقالات ويكيبيديا المهتمة بالجزائر.

وكانت قصائده تحسيسا بهذا المصير المشترك داعية إلى وحدة المغرب العربي من ذلك قوله في مؤتمر تلمسان سنة 1935م.

إن الجزائر في الغرام وتونسا والمغرب الأقصى خلقن سواء
نحن العروبة والشمال بلادنا وبه نعيش أعزة كرماء
أرض مطهرة تضم ضلوعها مهجا هناك زكية و دماء
بدم الصحابة قد تعطر ظهرها قدما وآوى بطنها الشهداء
وتعانقت فيها البنود خوافقا حمراء تجمل للأنام رفاء

وكانت مهامه السياسية تهدف جميعها إلى توحيد العمل السياسي و يتجلى ذلك في قصيدته التي تعد من عيون شعره والتي أطلق عليها "البردة الوطنية" سنة 1937م.

تونس والجزائر اليوم، والمغرب، شعب لن يستطيع انفصالا
وحدة أحم الإله سداها من يرد قطعها أراد محالا
نبتت من أب كريم، وأم وسأمت في الحياة عما وخالا
نصبوا حولها حدودا من الألواح جهلا و خدعة، وضلالا
فاجعلوا إن أردتم الكون سدا وضعوا البحر بيننا والجبالا
نحن روح مزاجه الضاد والدين، فلن يستطيع قط انحلال[57].

وفاتـه:

توفي المجاهد و شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في الثالث من رمضان سنة1397 هجرية الموافق ل 17 أوت 1977م بتونس بعد سكتة قلبية. وكان في لقاء حميمي مع بعض المجاهدين القدامى في حزب الشعب الجزائري وأثناء الثورة. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه(ميزاب) مغطى بالعلم الوطني وورى التراب هناك، وشارك في جنازته جموع غفيرة من

أبناء الشعب جاءت لتودع شاعرها، كما شارك في تشييع جنازته شخصيات سياسية ودينية وأدبية كبيرة جاءت من الجزائر وبلدان أخرى من الوطن العربي.

وودع مفدي زكريا الحياة دون أن يرى حلمه المتمثل في مغرب عربي موحد ولا يرى إلا استقلال بلدانه من الاستعمار[58].

مؤلفاتـه:

أ_ دواوينه الشعرية:

---

[57] محمد ناصر، مفدي زكريا ، شاعر النضال والثورة، ص15.

[58] رابح لونيسي، مفدي زكريا، شاعر الثورة ، دار المعرفة ط2004 1 ص23.

1.(اللهب المقدس) طبع في بيروت عام1961م.

2. (إلياذة الجزائر) عام 1972م في ألف بيت وبيت..

3.(من وحي الأطلس) طبع بالرباط عام1976م.

ب- الكتب:

- ❖ تاريخ الصحافة العربية الجزائرية.
- ❖ المعركة السياسية في الجزائر من1935 إلى 1954.
- ❖ أضواء على وادي ميزاب.
- ❖ مذكراتي.
- ❖ تاريخ الفلكلور الجزائري.

شعره:

لقب مفدي زكريا (بشاعر المغرب العربي) هذه التسمية في حقيقة أمرها تعريف بالشاعر أكثر من كونها تشريف له وتقييمها لشاعريته، فكانت له الأحقية بهذا التعريف الذي ينبثق من خلال أعماله الشعرية ليدل على صاحبه.

إن أهمية شعر مفدي زكريا في هذا الاتجاه تكمن في تميزه الواضح عن غيره من الشعراء الذين عالجوا قضية المغرب العربي.

فكانت البداية الحقيقية التي خطاها مفدي في ميدان كتابة الشعر قصيدة وطنية عن ثورة الريف في سنة 1925م. فلم يكن من قبيل الصدفة أن تكون أول قصيدة يدخل بها مفدي عالم الشهرة هي قصيدة(إلى الريفين). فلقي من الصحافة التونسية مجالا مشجعا لنشر قصيدته هذه، ووجد في بيئة تونس الثقافية المتفتحة طريقا إلى الشهرة ومساعدا قويا على السير قدما في هذا الطريق الوطني فلم يتردد قط في نشر قصيدته المشار إليها بالجريدتين التونسيين (لسان الشعب)

و(الصواب)[59]. والتي يقول فيها:

أجبريل هلل بآي الظفر وكبر وخطط جليل الخبر

ورف بأجنحة النصرف ق بني الريف حول القنا المستجر!

ورتل على الجيش إن تنصر واالله ينصركم ببلوغ الوطر

وأعل اللواء لهام الثريا وسر للإمام بتلك الزمر

وأبلغ رسول البرية أحمـ د هادي الشريعة باري البشر

بأن الهلال على أفق السعد والمجد بعد الأفول ظهر

---

[59] بتصرف عن محمد ناصر، مفدى زكريا شاعر النضال والثورة، ص 82-83 -84.

سلام بني الريف من مهج تكاد تطير ولا تصطبر
هنيئا بني الري، فقد فتحت لكم جنة الخلد من يبتدر؟
بني الريف ليست سوى جرعة من الهول ثمة تجلى الغير
بني الريف ليست سوى خطوة على النار ثمة يجنى الثمر
بني الريف ليست سوى جولة على الضيم ثم بطيب المقر
نضالا نضالا بني الريف عن تراث لكم غالي المدخر
أجيبوا أجيبوا نداء الضمير ودعوة عظم رميم نخر
ألا نظرات إلى ابن الوليد وفاتح ملك العزيز عمر
وعقبة فاتح إفريقيا وحسان من بعده قد زأر
وطارق إذاك وابن نصير بأندلس سعيهم مشتهر
أليسوا سوى بشر مثلنا وقد فتحوا العالم المكفهر
أليس بعزم يفل الروا سي أضحوا ملوكا بهم يفتخر
أليسوا بذلك القوا درو سا لأجيالنا من عظيم السير
ألم يستقلوا من الصين ملكا إلى البرنات لأرض التتر
وأضحى لواء الخليفة يخفق حول باريس ولولا القدر[60]

تعد هذه القصيدة في حقيقة أمرها ذات دلالة وطنية هامة، فمن المعروف لدى متتبعي تاريخ النهضة في المغرب العربي أن ثورة الريف تحت زعامة (عبد الكريم الخطابي) ضد الاسبان من أبرز الثورات التي تمخضت عنها تطورات الأحداث العالمية بعد الحرب العالمية الأولى وكانت من أقوى ردود فعل الشعوب المضطهدة اتجاه الاستعمار الغربي. مما جعل
الحركات الإصلاحية والوطنية في المغرب العربي تتضامن معها وتتعاطف حولها تعاطفا قويا[61].

ففي هذه القصيدة يصف مفدي زكريا مشاعره المتأججة تجاه الريف معبرا من خلال ذلك عن تطلعاته الوطنية وإيمانه الراسخ بأن النضال المسلح هو الحل الوحيد لافتكاك الحقوق المغتصبة، ففي مضمونها تتضح لنا جليا هذه الروح الإسلامية القوية المتدفقة من كل بيت من أبياتها، إنها امتداد لهذا المنظور الإسلامي الذي كان سائدا لدى الحركات الإصلاحية والوطنية في بداية النهضة. فقد ابتلي أبناء المغرب العربي باحتلال لاتيني مسيحي ما فتئ يطبق ضدهم سياسة عنصرية تسعى إلى كبت المشاعر الإسلامية عن طريق العسكريين حينا وعن طريق المبشرين حينا آخر، ومن ثم فإن الشاعر كان يرى في

---

[60] محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري الحديث، ص 175-176.

[61] بتصرف عن محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص 83.

جهاد الريفيين ضد الاسبان امتدادا لجهاد المسلمين ضد الكفر وأن قتالهم ضد العدو المحتل إنما هو قتال بين الصليب المسيحي والهلال
الإسلامي. مما دفع الشاعر في مطلع قصيدته من البيت الأول إلى البيت السادس إلى التركيز على فكرة الشهادة في سبيل الله والوطن والصمود لتحرير هذا الثرى الغالي، وتغدو المعركة جهادا مقدسا يحمل رايته جبريل و يبشر به محمد . صلى الله عليه و سلم . لأنه علامة على نهض المسلمين لاسترجاع حقهم المغتصب، وتتجلى الرؤية الإسلامية الشاملة بالتفكير المستمر بالأبطال الفاتحين الذين يضخمون ثرى هذا الوطن المقدس بدمائهم الطاهرة و يحرص الشاعر على ذكر أسمائهم واحدا واحدا (عقبة بن نافع . حسان بن النعمان . طارق بن زياد . موسى بن نصير). ويضمن أبياته قوله(طارق) الإستبسالية المشهورة أمام جيش الفتح الأندلسي بعد أن أحرق السفن (العدو أمامكم والبحر وراءكم فليس لكم والله إلا الموت أوالنصر) فكأن زكريا يريد من بني الريف أن يكونوا مثل أجدادهم الذين قهروا الاسبان حين فتحوا الأندلس. فليس من
الصعب عليهم أن يحققوا الانتصار وهم يدافعون عن أرضهم . على اسبان اليوم وهو يقدر كل التقدير بأن الجهاد سيكون مريرا والحرب ضروسا وطريق الحرية مليئا بالضحايا و لكن في سبيل الكرامة يهون كل صعب و يرخص كل غال[62].

ونلمس من البيت السادس عشر إلى البيت العشرين استخدام الشاعر الأسلوب التعريضي وذلك حين وجه الخطاب إلى أبناء الريف طالبا منهم الجهاد البطولي، فقد كان المسلمون في المغرب العربي يتلقون اضطهاد الفرنسيين لهم مالا يقل عن تلقي الريفيين من اضطهاد الاسبان وذلك ما يفسر لنا مجيء الأبيات في شكل أبيات حكمية لا توجه إلى شخص أو شعب بعينه بقدر
ما يصح أن توجه إلى كل من يتطابق حاله معها.

وقد كان الشعراء الجزائريين يستخدمون هذا الأسلوب في العشرينيات والثلاثينيات فرارا من أذى السلطة وتحايلا للتفلت من قلم الرقابة والمستعمر الفرنسي الذي كان يحاسب على الخاطرة والهمس، وهذا ما جعل الشعراء يتحايلون في سبيل التعبير عن مشاعرهم و أفكارهم بهذه الأساليب الرامزة.

كما تجلت الروح الثورية التي شحنت لغته الشعرية، وقد تمثلت في استخدام العبارات القوية، والإيقاع الموسيقي الحاد الذي اختار له بحر (المتقارب) وهو بحر معروف بإيقاعه السريع الذي يلاءم الموضوعات الحماسية ويقرب العمل الشعري من التلحين والغناء.

فكان ينطلق في معالجة مضامين شعره من منظور إسلامي حيث نجد لغته الشعرية مستمدة من الأجواء الإسلامية، وصورة مقتبسة من القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي.

---

[62] نفسه بتصرف، ص 83-84-85.

ولاشك في أن دراسة مفدي بتونس وإقامته الطويلة بها ساعدته على أن يكون قريب الصلة من إنتاج الشاعر الرومانسي "أبي القاسم الشابي" وصلته به صداقة حميمية ساعدت على ربطها بينهما أيام الدراسة بجامع الزيتونة وجلسات السمر، والمطالعة وندوات الشعر هذه جعلت مفدي يتأثر إلى حد ما بلغة الشابي. هذه اللغة المتميزة يتدفق خيالاتها وهمسها، وعوالمها الذاتية ومعجمها المستمد من الطبيعة ونلمس هذا التأثر واضحا في بعض القصائد الثورية التي امتازت بالجزالة والقوة في لغتها الشعرية، وفي بنائها بالنزعة الخطابية المباشرة ولأدل على هذا أنه نظم هذه القصيدة على منوال قصيدة الشابي رائيته النشيد الوطني[63].

القصيدة الثانية:(الشمال الإفريقي يتحد):

عاد الزعيم(عبد العزيز الثعالبي) من المنفى بعد خمس عشرة سنة، إذ كانت له الصلة بالحركة الوطنية الجزائرية والإصلاحيين جد وثيقة ترجع إلى أيام الحرب العالمية الأولى، وقد تتلمذ على يده الكثير من التلاميذ من بينهم مفدي زكريا وهذا الأخير رآى في المهرجان الذي أقيم بهذه المناسبة عيدا وطنيا يشمل الشمال الإفريقي كله ولا يخص تونس وحدها ويرى فيها مظهر آخر من مظاهر وحدة الشمال الإفريقي.

فنجد عبد العزيز الثعالبي رمزا للوحدة والتماسك وجمع الشمل وبفضل أعماله لم يستطع الاستعمار تمزيق شعوب عالم المغرب العربي وتجنيسه وإدماجه سياسيا، وبهذا غدا زعيما للشمال الإفريقي كله تنتظره الجموع بفارغ الصبر، ومن هذا المنظور اختار زكريا لقصيدته تلك

عنوانا له دلالته السياسية البعيدة (الشمال الإفريقي يتحد)[64] التي يقول في مطلعها:

ارفعوا اليوم للسماك البنـودا وافرشوا موضع التراب خدودا
واملأوا الأرض عنبرا، واغمروا الـ بحر عطورا، وبخروا الكون عودا
وضعوا الغار فوق هامة (قرط اج)، وغطوا هذه البطاح ورودا
وترنح شمال إفريقيا بشر ى وطارح طي ورك التغريدا
مرحبا (بالعزيز) ينزل من مصر وأهلا ومستقرا سعيدا
نزلا أيها(الزعيم) كريما وقدوما مباركا محمودا
سر على الأرض أيها الشيخ هونا وامش فوق التراب مشيا وئيدا
صافحتك البلاد في نشوة الذ صر كما صافح العرين الأسودا
وتلقتك بعد خمس وعشر كن عهدا على البلاد شديدا

---

63 نفسه بتصرف، ص 85- 86.

64 نفسه بتصرف، ص85-86.

أمة كنت تنفخ الروح فيـها وطنيا وكنت فيها الشهيدا
فغذ ت تفتح الطريق إلى المجـ د على همة تفل الحد يدا
وغدوت الزعيم في الشرق تحدو في بني الشرق للجـهاد جنودا
فليفاخر شمال إفريقيا بالر جل الفذ، وليباكر عهودا
يا زعيم الشمال والشرق يا مـ ملأ الشرق والشـمال جهودا
إن شعب الجزائر اليوم قد جا ء يهني لواءك المعقودا
ويحيك باسمه (حزب شعب) في المبادئ قد كان منك وليدا
فهو من روحك العظيمة جزء فتقبل من بعضك التمجيدا
وارع أرضا غدوت فيها زعيما ترتجي في جهادك التأييـدا
قسموها خديعة لثـلاث كبوا لن تزال شعبا وحيدا
وأقاموا على الهضاب عصـيا لقبوها باللنفاق . حـدودا
والجراحات بينـها و الأمـاني والأمانات، لا تـزال شـهودا
وطني بالدم الزكـي أفديـ ك يمينا شريفة وعـهودا
وطني أنت جنة الخلد في الأر ض فهيهات في الورى أن تبيدا
نحن قوم، جدودنا ملكوا الدنيا فهيـهات أن نعيش عبيدا[65].

وختام القول أن وحدة المغرب العربي عند مفدي زكريا عقيدة راسخة تمتد جذورها في أعماق أعماله الشعرية، ومبدأ سياسي ناضل من أجل تحقيقه منذ يفاعته حتى أخر لحظات عمره، وقد كانت بيئة تونس الثقافية والوطنية أو بأحداثها السياسية من أقوى العوامل دفعا لاتجاه شعره هذا الاتجاه الوطني العارم، والإيمان بمبدأ العمل الوطني الوحدوي لا من أجل الجزائر وحدها.

وإنما من أجل مغرب عربي كبير ومن هنا يعتبر شعره سجلا حافلا لتطورات الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية في المغرب العربي الكبير، وصورة صادقة من تاريخه تنتفض بالمشاعر الطافحة فرحا وترحا وآمالا وآلاما.

---

[65] ينظر: محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص214.

ثانيا: رمضان حمود

أولا: مولده ونشأته

في سنة 1906م ولد رمضان حمود في مدينة غرداية بالجنوب الجزائري في بيئة محافظة ،عرف أهلها بتمسكهم الشديد بالدين وغيرتهم على الإسلام، ولقد كان لهذه البيئة المحافظة الأثر الكبير في توجيه تفكيره ونظراته. فكان منه هذا الشاب الذي اعتنق الإصلاح في جميع أفكاره ودعا إلى الثورة في مقالاته وأشعاره وكان لوالده ووالدته أكثر الأثر في تنشئته هذه النشأة الصالحة فزرعا في نفسه منذ الصغر التمسك بالأخلاق الكريمة. وحب الوطن والاستقامة في الدين.

وبما أن حمود وحيد أبويه إنهما كان يحبانه حبا عظيما ويفتتنان به افتنانا، ولعل لذكائه ما زاده تأثيرا على نفسيهما فوفرا له كل الوسائل المادية والمعنوية ليتفرغ للدراسة، ويتكون تكوينا تعليميا صالحا وكان أولئك الذين يتفرغون للتعليم في ذلك الوسط، وفي تلك الظروف القاسية أفراد قليلون إذ كان الجهل والفقر والاستعمار من أكبر العوائق في هذا السبيل[66].

---

[66] بتصرف عن محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2 ، سنة 1985

ثانيا: دراسته و تعليمه

امتاز رمضان حمود منذ الصغر بميزة الذكاء والنبوغ، فقد شب على طلب العلم وحب المعرفة فلم يكد يبلغ سن السادسة حتى اصطحبه والده التاجر معه إلى غليزان حيث التحق هناك بإحدى المدارس الفرنسية، ولقد أظهر الفتى حمود تفوقا في الدراسة من خلال اجتهاده ومواهبه والاعتقاد التام بدروسه وهذا ما جعل معلميه يخصونه بالمحبة والعطف ويعجبون بشخصيته ويضربون به المثل في حب التحصيل عندما يريدون تحفيز تلامذتهم.

ولكنه يصطدم منذ مراحل التعليم الأولى بمأساة التعليم في الجزائر المستعمرة حيث يغدو التلميذ ممزقا في أغلب الأحيان بين تعليمين أحدهما فرنسي، عصري المناهج والأساليب، ولكنه يهدم الروحيات ومقومات الشخصية الجزائرية هدما، وثانيهما عربي حر هو ذلك التعليم الذي تعرف به الكتاتيب والمساجد وبعض المدارس الخاصة ولكنه عقيم الأساليب ضعيف المناهج يساق فيه التلميذ بالعصا وتقحم المعلومات في عقله الصغير بالحفظ الببغاوي، وذلك كانت نتيجة التعليم الأول كما يقول حمود: << لايثبت شيئا، وإذا أتيت فالشوك والحنظل من سوء الأخلاق والتعذيب، والخروج من الحياة >>.

أما الثاني فقد كانت نتيجته كالتالي:<< أربعة أعوام قضاها في حفظ القرءان، فلم ينل إلا سورا مرسومة في دماغه لا يفقه منها شيئا على أنه لم يكن يحفظها كلها، لما تقدم من اضطهاد المعلمين لتلامذتهم عند تلقين كلام الله لهم...>>[67].

وهكذا لما رآى والد حمود حالة التعليم في الجزائر وما كانت عليه من ضياع وعقم، وما رآه في ولده من الاستعداد والطموح قرر أن يبعث به إلى تونس التي كانت آنذاك قبلة كل شغوف لحب المعرفة وكعبة يحج إليها النجباء من الطلبة. فانضم حمود إلى أفراد البعثة العلمية التي اتجهت من الجزائر نحو مدينة تونس سنة 1917م.

برئاسة الشيخ أبي اليقظان حيث تستقبل تونس رمضان شابا في السادسة عشرة من عمره ينبض كل عرق فيه بحب المعرفة، فراحت تبنيه أدبيا وفكريا واجتماعيا وسياسيا. فكونته المطالعة والأندية الأدبية وأبرزت مواهبه الشعرية ورباه مشايخه في البعثة وزرعوا فيه حب الاستقامة خلقا ودينا وبثوا في نفسه حب التضحية في سبيل الوطن. ولقد درس في مدارس عديدة منها مدرسة السلام التي درس فيها علم الخط العربي وتحصل على ملكة لا بأس بها في الإنشاء، وملأ قريحته بقسم كبير من المحفوظات شعرا ونثرا، وتلقى بعض الدروس في مبادئ العلوم الطبيعية من جغرافيا وتاريخ، وتشريح، وهندسة وحساب أما المدرسة القرآنية الأهلية فقد تحصل فيها على قواعد نفسية في العلوم العربية من نحو وصرف ومنطق وبلاغة وأصول، ثم تقدم بعد ذلك إلى الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) إلا أن حمود وهو

ص 14.

[67] نفسه، ص16.

ما يزال في تونس تلميذا مبتدئا لم يكتف بمكانة تمده المدرسة من زاد فكان يعمر أوقات فراغه بالتمرن على الكتابة والخطابة والشعر. وكون مع بعض إخوانه الطلبة في البعثة(جمعية أدبية وطنية)، كانوا يلقون فيها خطبا ومحاضرات تحوم كلها حول الوطنية والدين، وجريدة حائطية ينسخونها بأيديهم يدفعهم في ذلك كله طموح المشاركة في الحياة الأدبية والاهتمام منذ الصغر بمشاكل المجتمع وقضايا الوطن.

إلا أن التقاليد الجزائرية التي كانت تحتم على الشباب الزواج مبكرا، حرمته من أن يستزيد علما فعاد إلى الوطن واستقر في مسقط رأسه (غرداية) وراح يشارك في إصلاح المجتمع الجزائري باندفاع وحماسه، وأثرى الصحف الوطنية بمقالاته وشعره، نشر أولياتها في جريدة الشهاب للشيخ ابن باديس ثم في جريدة وادي ميزاب للشيخ أبي اليقظان، وألف في هذه الأثناء كتابيه (بذور الحياة) و(الفتى)[68].

شخصيته:

أول ما يلفت النظر في شخصية حمود، هو هذه الثورة التي عرف بها في كل أفكاره، ثورة على الجمود الفكري، ثورة على التقليد الغربي، ثورة على العمود الشعري، ثورة على الاستعمار الفرنسي إلى آخر هذه الثورات التي كانت جزءا من حياته فتعود هذه الروح الثائرة إلى ما عرف به حمود منه صغره من طموح وشغف بالاستقلال الفكري فإنه:<< كان يرى منذ صغره أن المرء لا ينجح في حياته ولا يبلغ غايته، إلا باتخاذه رأيا خاصا تريده قريحته الوقادة، فإن أصاب المرمى فذاك، وإن أخطأ فالتجربة تربيه و تهذبه >>[69].

كان رمضان يحب وطنه حبا عميقا، فيصبح وكأن الوطن دم يسري في شرايينه أو نفس تخفق به حناياه << أحب وطني حبا جما، ولو تراكمت الخطوب على أرضه، ومسني من العذاب أليمة، فهو ملكي وأنا ملكه، تبكي عليه كلما شك، أحبه ويحبني فهو عين وأنا نورها وهو صوت وأنا صداه، أكره من يبغضه وأجل من يهواه، اسمه في قلبي مكتوب بنارالحماسة من صغري، لا يمحيه يد الدهرفي كبري عرفته فعشقته، وإن كنت لا أعرف العشق من قبل...>>.

وفيما نجد أيضا ميزة تميز بها هي غيرته الشديدة على الدين فكان يدرك إدراكا واعيا ما لهذا الدين من فعالية في توجيه سلوك الناس وتكوين شخصياتهم فقد عرف بتقواه وورعه، ونزاهته وعفته يتجلى ذلك في بغضه الشديد للمتخلقين بالأخلاق المنافية للإسلام وملاحقته الصريحة للخرافات والبدع والكفر والإلحاد. وقد عبر مفدي زكريا الذي كان من أعز أصدقائه ومن رفاق تلمذته وشبابه عن هذه الميزة التي طبعت شخصية حمود اعتقادا وسلوكا حين قال:<< ..إنه كان ثوريا في جميع أرائه وأفكاره إلا على الدين فأيما عود عجمته منه إلا ووجدته يتقد نارا وغيرة >>[70].

---

[68] نفسه بتصرف، ص 16-18.

[69] المرجع السابق، ص19.

[70] ينظر: نفسه، ص 21.

وفاته:

أصيب حمود بداء السل وهو مازال طالبا بتونس، ولازمه هذا المرض ينهش رئتيه سبع سنوات كاملة. وحال دونه والقيام بأي عمل جسماني مرهق، وقيده بمسقط رأسه "غرداية" لا يبرحها إلا للاستشفاء في مدينة "غليزان" إلى أن أطبق عليه الموت أخيرا عن عمر لا يفوق ثلاثة وعشرين عاما وكان ذلك في 15 ديسمبر 1929م[71].

آثاره الأدبية:

ترك رمضان حمود حوالي ثلاثين قصيدة موزعة في بعض الجرائد الوطنية مثل جريدة الشهاب للشيخ ابن باديس، وجريدة وادي ميزاب لصاحبها أبو اليقظان.

وألف كتابان:" كتاب بذور الحياة " الذي صدر في تونس سنة 1928 م وقد ضمنه مجموعة من المقالات والخواطر في أدب الحياة[72].

"كتاب الفتى": وهو عبارة عن قصة نشرها في العشرينات التي تعد ترجمته لشخصية الشاعر طفولته، دراسته، تنقله بين"غرداية" مسقط رأسه في الجنوب، ومتجر والده في "غليزان" في الشمال، ثم التحاقه بتونس لاستكمال الدراسة في مدارس ومعاهد حرمت منها الجزائر بفعل التضييق الاستعماري على التعليم العربي، ثم اضطرار المهاجر للعودة إلى وطنه وحرمانه مواصلة الرحلة العلمية في الخضراء، تحت وطأة المرض الذي أودى بحياته[73].

شعره و شاعريته:

إن الموت الذي احتضر رمضان حمود وهو في الثالثة والعشرين ربيعا جعل إنتاجه الشعري محدودا، إذ لم يتجاوز حصيلة هذا الشعر ثلاثين مقطوعة. ومن الملفت للنظر حقا في شعره هو مضامينه الفكرية لا أدواته الفنية هذه الروح الثائرة التي تتفجر من خلال كل جملة شعرية والمتطلعة إلى الحرية بوله شديد[74]. وقد كانت هذه الأخيرة عنوانا من عناوين قصائد والتي يقول فيها:

لا تلمني في حبها وهواها ليست أختار ما حييت سواها
هي عيني ومهجتي وضميري إن روحي وما إليه فداها
إن عمري ضحية لأراها كوكبا ساطعا يبرح غلاها

---

71 ينظر: نفسه، ص111

72 شريبط أحمد شريبط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين جمع وتركيب وطبع، مؤسسة الشروق للإعلام و النشر، ص 226.

73 صالح خرفي، حمود رمضان، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،ج1985ـ3، ص14.

74 بتصرف عن محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره ص25.

فهنائي موكل برضاها وشقائي مسلم بشقاها
إن قلبي في عشقها لا يبالي تتطوي الأرض أم يخر سماها
قد مضى الله أن تكون كصوت وقضى أن يرد روحي صداها
إن في العشق رحمة و عذابا وعذاب العشيق شوب جناها
لم أنل من حبيبي إلا صدودا وصدود الحبيب، نار وراها
هجرتني من غير ذنب، ولكن كل ذنبي في كون قلبي اصطفاها
قيدتني، بلا وداع، وخافت من وداعي ، و تعلقي برداها
تركتني، ولم تراع هيامي عذبت مهجتي ، بشحط نواها
هكذا سنة المحبة تقتضي بشقائي، ما دمت أبغي لقاها
إيه يا دهر؟ فارفقن بقلب يحمل الخطب، والهموم سواها
أيها الطائر؟ المحلق فوقي هل أجد فيك حكمة وانتباها؟
أترى هل تكون منتي رسولا يحمل السر للحبيب و جاها.
بلغتها مقالة من صديق حين تأتي ديارها و تراها
إن ذاك الكثيب ما زال خلا يحفظ الود و العهود قضاها
أتمنى أن أراها فما أحلى وصالا يكون فيه رضاها
كاد حبي لها يبدد جسمي بسهام بين الضلوع رماها
قل لها ما شهدت مني جميعا فعساها ترثي لحالي عساها[75]

(وادي ميزاب) ع 93 /27 جوليبت1928

دلالة النص:(المضمون)

إن القارئ لقصيدة الحرية لرمضان حمود للوهلة الأولى تبدو له القصيدة قصيدة غزل برمتها تتقد شوقا وصبابة وتتلظى حرمانا وهجرانا وتضرعا إلى المحبوب ولكن المطلع على شخصية رمضان الثائرة والراغبة في التحرر وسرعان ما يدرك أن هذا المحبوب لن يكون غير "الحرية" التي عنون بها قصيدته،هي الحرية بكل ما تحمل من معاني الانطلاق والتخلص من القيد الذي فرض على الشاعر من قبل الاستعمار ومن قبل مجتمعه الذي يفرض أي دعوة إلى التحرر.

وقد استهل رمضان قصيدته هته بتبيين مكانة الحرية بالنسبة إليه،فهو يرى فيها عينه ومهجته وضميره، ولذا فان هنائه مرتبط برضاها، وشقاؤه بشقاها وهو بذلك لا يبالي في حبها بأي شيء، ثم يبين لنا استجابة الحرية له، وصده وهجرانه من غير ذنب دون مراعاة هيامه وعذابه حتى يصل به الأمر بأن يطلب من الطائر المحلق أن يحمل له رسالة إلى الحرية ويخبرها عن حالته الكئيبة بعدما تركته، وفي

---

[75] ينظر: د صالح خرفي، رمضان حمود، ص83-84.

الختام يتمنى الشاعر رؤيتها ووصالها لأنه لا يستطيع العيش بدونها، ولقد صاغها بصيغة مؤثرة من خلال اختياره الأسلوب الرمزي الرائع

إذ يخيل للقارئ انه يناجي فتاة ذات كبرياء وتمتع ، فراح يهمس في أذنها أحلى عبارات الغزل ويصور في الوقت نفسه مدى لوعته واشتياقه إليها وكأنه اختيارهذا الأسلوب ليعبر عن ذلك الإحساس الذي يشعر به كل جزائري متلهف إلى نسمة من نسمات الحرية.

اللغة الشعرية:

أما اللغة الشعرية فقد أولاها اهتماما خاصا وأعطاها مفاهيم جديدة، تمكن الخطاب من وصوله للمنفى، فجاءت لغته في عمومها سهلة بسيطة، فرمضان حمود لا يعتبر الشاعر شاعرا إلا إذ خاطب الناس بالغة التي يفهمونها، ولذا فالقارئ لشعره لا يجد تلك الألفاظ والكلمات الغريبة فاستعمل ألفاظ دالة على حبه للحرية واشتياقه له.<< حبها، هواها، عيني مهجتي، عشقها، هيامي، المحبة...>> أما الألفاظ الدالة على فقدان الشاعر للحرية << شقائي عذاب، هجرتني، قيدتني، خلفتني، صدودا...>> وبما أنه تأثر بالشعراء الرومانسيين فقد عبرعن هذا الحب بألفاظ دالة على الطبيعة << الطائر، الأرض، كوكبا...>> وكل هذه الألفاظ لها علاقة مع بعضها البعض فوظفها للدلالة على معاني الهيام والاشتياق تارة، وعلى الحزن والكآبة تارة أخرى.

أما أسلوبه فقد تنوع بين الخبري والإنشائي حيث بدأ قصيدته بأسلوب إنشائي وهو النهي في قوله << لا تلمني في حبها وهواها >> عرضه إصرار الشاعر على مواصلة حبه للحرية وأسلوب التوكيد في قوله << إن عمري ضحية لأراها >> فجاء التوكيد ليؤكد حب الشاعر العميق لمحبوبته الحرية.

أما الأسلوب الخبري فقد ورد في النص من أجل تقرير حقيقة مشاعر الشاعر اتجاه الحرية وخاصة وأنه يفقدها ومن أمثلته.<< قيدتني وخلفتني أسيرا>> << فارقتني بلا وداع >> <<هجرتني من غير ذنب>>.

نلمس في القصيدة النزعة التحررية فلم يقدم لنا رمضان حمود قصيدته << الحرية >> مباشرة وإنما صاغها في أسلوب رمزي بحيث أن القارئ لا يكشف معناها إلا بعد قراءته للعنوان وهذا مظهر من مظاهر القصيدة الحديثة، فاستطاع أن يوفق في تشخيصه للمعنى حيث أنه شخص لنا الحرية بصورة فتاة يحبها ويسأل وصلها. استطاع رمضان أن يوفر لقصيدته الوحدة العضوية حيث نجد إنها نمت نموا عضويا رائعا إذ تسلمك البداية إلى النهاية في تتابع لا انقطاع فيه. بالإضافة إلى وجود الوحدة الموضوعية حيث أنها كلها تدور في فلك واحد وهو الحرية وحاجة الإنسان إليها.

القصيدة الثانية:(الخيبة الكبرى)

شهدت سنة 1925م بداية الحركة الإصلاحية في الجزائر فهي المنطلق الحقيقي لكل ما شهدت الجزائر بعد ذلك من نهضات فكرية وسياسية واجتماعية ،فيما أن حمود كان احد أقطاب الحركة

الإصلاحية فإن مضامين شعره لم تختلف عن تلك المضامين التي عرفت عند رجالات الإصلاح، حيث أن فكرته الإصلاحية تجلت في إصلاح شعبته وأمته و تفكيره. فتطلع إلى شرف الكفاح في الميدان الإصلاحي وهو ما يزال طالبا يتابع دروسه بتونس بعد شعوره بخيبة كبرى من جراء الواقع المرير الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري جهلا و تفرقا وانحلالا...[76].

ولأدل على هذا قصيدته (الخيبة الكبرى) حيث يقول فيها:

دعوت قومي إلى الإصلاح فامتنعوا وقد دروا أنه حق، فما خضعوا
لا ينصتون لقول جاء معتبرا لأنهم في مروج الكبر قد رتعوا
يبكون حالهم من شر نكبتهم وإن أتاهم مواس منهم، اضطجعوا
قد قيض الله فيهم من يحق لهم أن يقتدي، ولا يدرون ما صنعوا
كأنهم و عصير الجهل يخلدهم، قوم سكارى على الأعتاب قد صرعوا
نفوسهم في مهاوي الذل غائرة، لا يطلبون حياة،لا،ولا طمعوا
ويفهمون بأن الدين، منحصر في صومهم،أو زكاة، أو إذا ركعوا
تراهم في الرخا،أسدا غطا رفه، أن حل خطب على أعقابهم رجعوا
لا بارك الله في قول بلا عمل فإنهم بحديث الليل قد و لعوا
قد غيروا في كثير من محاسنهم فغير الله عنهم كلما ابتعدوا
كم ليلة بتها و الله يشهد لي مفكر في مصير القوم إذا هجموا
لا يطرف النمو جفني ابتغى لهم مجدا و لست بذل العيش اقتنع
ترى يراعي على القرطاس معتكفا بذود عن حوضهم حينا ويخترع
إذا أمضى الليل، و انجالت كتائبه، وأقبل الصبح، بالأنوار يجتمع
أصبح فيهم بصوت . عز قائله . " ألا حياة بها في الناس نرتفع..."
.. فمزقوا الجهل وانجوا من مخالبه فالجهل، بالعلم والتفكير، ينقطع
كررت قولي مرارا، غير مقتنع بخطبة أو شعر أو بما يسع
ولا وسيلة إلا جئت أعرضها عليهم، كي تنجيهم إذا فزعوا
فظن جهلا بأني لست صادقهم، فما أفادهم قولي ولا سمعوا[77]

تبدو دلالة النص جلية من خلال العنوان (الخيبة الكبرى) و كأن رمضان حمود رمضان حمود مصاب بخيبة أمل كبيرة من جراء الواقع المرير الذي يعيشه أمته و شعبه.

---

[76] بتصرف عن محمد ناصر، رمضان حمود حياته و آثاره، ض 26–28.

[77] ينظر، نفسه، ص 193.

فقد استهل قصيدته بعودة القوم للإصلاح في جميع الميادين وخاصة إصلاح التعليم ولكن القوم لم يستجب له ولدعوته، فلما كان طالبا في تونس هاب على الحركة الإصلاحية ضعف مناهجها وأساليبها في إصلاح الأمة لأن تونس آنذاك عرفت التطور في الأساليب والمناهج بالإضافة إلى تطور نظام العربية ، ويرى بأن قومه يتخبط في الذل والانحلال والتفرق.

إن يقول على المصلح الذي يتصدى لتغيير هذا الواقع المؤسف أن لا يكتفي بتشخيص الداء دون البحث عن العلاج والدواء. وهو ذا يتألم حتى أنه سهر الليالي وهو يفكر ويخطط في مصير أمته إذ لم يرضى لها الغد الأفضل والمشرق ويختم قصيدته بتلك الصيحة التي طالما رددها دون ملل أو يأس وهي تحذيره المستمر من عواقب الجهل وكان الجهل شبح مخيف متسلط على روح حمود فهو ما يزال ينفر منه ويخيف الشعب من شروره إذ بالعلم يبني الشعب الجزائر والذي يمدهم بالقوة أساسا هم تمسكهم بمقومات شخصيتهم عروبة ودينا، ففي بداية أي نهضة يكون العلم بمعناه الواسع سلاحا أساسيا لها يهبط السطوة والنفوذ والقوة، ويملأ قلوب المناهضين الإيمان الراسخ والوعي اليقظ وحمود عندما يلح في إصرار على الدعوة إلى العلم إنما يفعل ذلك على إدراك ووعي لواقع الجزائريين المؤلم، لذلك راح يحث الشعب الجزائري بالقضاء على مخالفات الجهل و رواسيه وأن غاية العلم تحقيق سيادة الوطن و عزته.

وخلاصة القول أن رمضان حمود الأديب الثائر التي تجلت ثورته في جميع أعماله وأقواله وتتجلى لنا قيمته الحقيقية لا من حيث الكم الشعري الذي تركه فقط وإنما في المضامين الفكرية فقد دعا إلى التحرر من قيود الأدب القديم وإلى الثورة في وجه المستعمر. ومنه نستخلص أن ثورة هذا الشاب الثائر كانت تتفجر دائما عن إيمان عميق بالأصالة الذاتية إسلاما وعروبة.

ثالثا: الأديب سليمان بن يحي بوجناح (الفرقد):

ولد بوجناح سليمان بن يحي الملقب بالفرقد سنة 1905م بغرداية تلك المدينة العريقة في القدم، والتي أنجبت على مر العصور كثيرا من العظماء الذين أضافوا لتاريخها مجدا يبقى خالدا على مر الدهور والأزمان بدءا بالشيخ عمى السعيد والشيخ بعيسى العلواني، والشيخ بابا والجمة والشيخ حمو الحاج أولئك الذين كانوا منارات هداية لأجيالهم من الميزابيين العظماء.

فهو أديب وصحفي من المثقفين بميزاب، بدأ دراسته في كتاتيب ومدارس بلدته، إلى أن أرسله والده إلى تونس فنهل بها قسطا وافرا من العلم ثم عاد إلى الجزائر ليتم دراسته الثانوية بثانوية (بوجو) بالجزائر

العاصمة[78] إلى أن بلغ مرحلة تؤهله للتقدم لامتحان البكالوريا، وهنا حدثت المفارقة العجيبة لما منعته السلطات الفرنسوية من حق الترشح لتلك الشهادة وهذا بسبب كتاباته ضد التبشير النصراني فقد وقف سليمان بقلمه اللاذع في وجه حملات التبشير والتنصير التي كانت تقوم بها فرنسا النصرانية الحاقدة بغية تنصيرا فراد الشعب الجزائري.

عرف بحماسة الوطني فكان واسع الثقافة، متقنا للعربية والفرنسية مما ساعده على الاطلاع على الصحف الأجنبية وتحليل القضايا السياسية تحليلا دقيقا.

لقد أهدر الاستعمار آمال سليمان، فقد كان يأمل أن يصبح محاميا لعله يجني بذلك ما كتب الله له من رزق له ولعائلته، وهنا أشهر قلمه يكتب في مختلف الجرائد كجرائد أبي اليقظان التي كثيرا ما كان يكتب بها المقال الافتتاحي مثل:

وادي ميزاب المغرب والنبراس وصدى الصحراء والنور. كما كان ينشر إنتاجه بجرائد الشيخ عبد الحميد بن باديس مثل الشهاب والمنتقد.

ونظرا لنشاطه الوطني ومقالاته الملتهبة، سجنه الاستعمار الفرنسي بسجن بربروس سنة 1929م، فقد قضى فيه ثلاثة أشهر وحكم عليه بالنفي لمدة عامين، بقرية بني عباس من سنة 1930الى1932م فتجرع مرارة النفي هناك ووضع تحت المراقبة الشديدة، فلا يكتب أي مقال أو رسالة إلا بعد إن تمر بالمراقبة كما لا يسمح له بقراءة الجرائد، وكثيرا ما كان الفرقد يقول عنترة بن شداد :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وقد امتلأ قلبه حقدا على الاستعمار البغيض، ولما أفرج عليه بعد عامين عاد إلى مناوئة المستعمر، فكان قلمه بالمرصاد لدسائس الاستعمار الفرنسي ولم يمض عام حتى حوكم مرة ثانية بعد أن قضى شهر بسجن بربروس بسبب ترجمته لمقال نشر بجريدة (الكفاح الاجتماعي) الفرنسية ضد الدسائس الاستعمارية ببلاد الجزائر من القلم الفرنسي إلى اللسان العربي، فنفي هذه المرة لمدة عامين إلى قرية تيمى بأدرار من سنة 1933 الى1935 ولسان حاله يقول:<< وإن عدتم عدنا، فلم يتخل عن مبادئه القومية وغيرته على وطنه بل ازداد توقدا وإشهارا لقلمه الفياض الذي كان يسقي به المستعمر السم الزعاف >> [79] .

لقد أطلق بوجناح سليمان لقب" مفدي" على شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا لما كانا بتونس فعرف به بقية حياته بعد ذلك وبالمقابل أطلق زكريا لقب "الفرقد" على الأستاذ بوجناح سليمان فعرف به بقية حياته.

---

78 حواش مصطفى بن بكير،"بوجناح سليمان بن يحي الفرقد"، الطبعة الأولى 2008 ، ص11- 12.

79 بتصرف عن حواش مصطفى بن بكير، بوجناح سليمان بن يحي الفرقد، ص 14- 16.

يعتبر الفرقد من مؤسسي جمعية الوفاق بالجزائر العاصمة، وكان كاتبها العام،أما رئيسها فهو المرحوم"سعيد بن بكير خالدي اليزقني".

وفاتـه:

توفي رحمه الله سنة 1988م، مات الرجل الصنديد وانطفأت جذوته المستعمرة، فبقيت مقالاته الملتهبة التي تشهد على نفس أبية وروح وقادة صنعت مجد الجزائر وتركت للأجيال خير رصيد ثري يشهد ما صنعه هذا الرجل الفحل من مجد لبلاده وما حلى به جبين الثورة من مقالاته التي تتقد أصالة وتلهب النفوس وتبعث الحياة والحيوية والنشاط في النفس الميتة وتحركها للوقوف في وجه المستعمر الغاشم[80].

آثاره:

من آثاره كتاب(الفرقد) وهو مجموعة مقالات اجتماعية وسياسية بالعربية وله مقالات كثيرة بالفرنسية موزعة في الصحف الفرنسة ذات الاتجاه الشيوعي والاشتراكي[81].

وطنية الفرقد:

سليمان بن يحي بوجناح "الفرقد" أديب صحفي من المثقفين بميزاب المعروف بحماسه الوطني كتب العديد من المقالات السياسية والاجتماعية التي كانت تلهب المشاعر وتبعث الحياة في النفس الميتة منها "دسائس المبشرين في بلاد الإسلام" وذلك هو عنوان إحدى المقالات الهامة التي كانت سببا مباشرا في منع" الفرقد" من الترشح لشهادة البكالوريا. لقد بين في هذا المقال ما يعمد إليه المبشرون من دسائس وحيل شيطانية لنشر تعاليم الدين المسيحي، أن أولئك

الرجال الذين يسخرون لتلك المهمة يتم إعدادهم بصورة فائقة من تعليمهم مختلف العلوم واللغات الأجنبية ومنها اللغة العربية لأن المستهدف الأول هو الدول العربية، لأن أغلبها تدين بدين الإسلام، وربما علموا أولئك الرجال آيات من القرآن الكريم حتى يسهل عليهم استدراج الناس البسطاء، حقا إن ذلك المقال ليكشف عن دسائس أولئك المبشرين بصورة فاضحة لنواياهم الشيطانية فأراد الاستعمار يستعمر العقول بعد استعمار الأراضي، وذلك قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس التي كان لها دور هام في تبصير أفراد الشعب الجزائري بدسائس المبشرين، وكذا فكرة الإدماج وغيرها من الشراك التي كانت تهدف إلى احتواء جميع أفراد الشعب حتى يتهيأ للمستعمر البقاء في أرضنا ولكن هيهات هيهات وتحت عنوان مقال آخر هو "التبشير ببلاد الإسلام " يعاود الأستاذ "بوجناح" الحديث عن دسائس المبشرين ويذكر خبرا هاما [82] على وشك الحدوث في تلك الآونة من طرف المبشرين وهو

---

80 بتصرف نفسه، ص 18- 19.

81 يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ص 197.

82 بتصرف عن حواش مصطفى بن بكير ، بوجناح سليمان بن يحي الفرقد ، ص 20 - 21 .

إزعامهم على عقد مؤتمر المبشرين بفلسطين لكن الرأي الإسلامي العالمي كان بالمرصاد لتلك المؤامرة الخبيثة فقامت بسبب ذلك مظاهرات عارمة بشتى بلاد الإسلام تنديدا بما عزم عليه أولئك المبشرون.

وذكر الفرقد في نفس المقال متحدثا عن مجلة (فتح) التي تصدر في الشرق جانبا من مقال كتبه صاحب المجلة جاء فيه أن المبشرون بمناورات شبه حربية للإيقاع ببلاد الإسلام فيعمدون إلى قص جناحي تلك البلاد وهم الآن يتربصون الدوائر بجناحه الأيسر الذي يشمل بلاد المغرب العربي ومصر حتى يتم إخضاع تلك البلاد لسيطرتهم. ويذكر الفرقد كيف بث أولئك المبشرون مراكزهم ببلاد الجزائر على شكل أخطبوط وهم ما فتئوا يغررون بالسدج البلهاء من كثير من النساء والرجال الذين يجدون من طرفهم لطافة وحسن معاملة بغية استدراجهم والإيقاع بهم في شراكهم.

ثم يردف الفرقد قائلا:<< ولقد خصص هؤلاء مجلة تحت اسم "في العالم الإسلامي" تصدر في الجزائر للبحث عن وسائل التبشير واقتناص المسلمين وتمسيحهم، وفي العدد 17 فقرة من مقال جاء فيها محشوا دسائس وطعنا في الإسلام والمسلمين قال الكاتب الأب "فوكا" وهو الذي كان في غرداية وهو الآن في قرطاجنة " بتونس" تحت عنوان "الوجوب والإسراع بالتبشير ببلاد البربر" وسائل التبشير[83] << إن أول ما يلاحظ هو تمسيح برابر المغرب ممكن وواجب>> والتبشير يكون أنجح في البلاد المغربية منه في بقية البلاد الإسلامية. إن أهالي المغرب أقل

تمسكا بالديانة الإسلامية والشريعة المحمدية من غيرهم، فبلاد المغرب اليوم هي اقل معاكسة لنا من بقية البلاد الإسلامية. كما يلاحظ أن تنصير البرابر أمر يجب الإسراع به ولا فائدة في القيام بالتبشير في المغرب بطريقة الكتمان لأنه لا يحتاج لتعويد المغاربة على الامتزاج بالمبشرين والتقرب إليهم لان نفوسهم لا تحتاج إلى سياسة التنويم، فإيقاظهم لا يخالجه شك في أصحية عقيدتنا ولو كانت دسائسنا تكادان تلمس وأبسط مسيحي يقدران يقوم بالتبشير في هذه البلاد بنجاح كنجاح اكبر قسيس قام بذلك، وأننا نشاهد أن الإسلام يزداد تمكنه في النفوس وعدد المتدينين يزداد تمكنا في كل سنة، الأمر الذي يستلزم الإسراع في التبشير، وبقدر ما نماطل في التبشير بقدر ما يصعب علينا ذلك ويقل نجاحنا فيه ونجاح المغاربة فيما يتعلق بسياسة بلادهم ونظاما تهم الداخلية لا يمنعنا من نشر دعوتنا في بلادهم بل أن ذلك يساعدنا على مهمتنا، فبقدر فوزهم في ميدان السياسة بقدرما يبتعدون عن الإسلام بسبب انتشار الديانة المسيحية في بلادهم.

فيلزم حينئذ على المبشرين انتهاز هذه الفرصة ولا يضيعوا وقتا نفيسا كهذا أثناء حركتهم..>>[84].

نستخلص من هذا النص فكرة عن دسائس المبشرين ونواياهم الخبيثة وبراعة الفرقد في مجال الترجمة الذي يعد مجالا ضئيلا من مؤهلاته الكثيرة والمتعددة.

---

83 ينظر: نفسه ص22-23.

84 ينظر: نفسه، ص23- 24.

كما تعددت مقالاته نذكر منها: الثبات على المبدأ، واعتصموا بحبل الله، القيام بالواجب الإخلاص، كيف يعاملنا النزيل.

أسلوب الفرقد:

ما نلاحظ على أسلوب الفرقد أنه كان شيقا قريبا من السهل الممتنع فكان الفرقد لا يكثر تعبيره من المحسنات البديعية والزخرف الذي يضفي على أسلوبه نوعا من السلاسة التي تدغدغ الشعور فتنفذ إلى أعماق الوجدان ، فأسلوبه واضح الدلالة في جميع مراميه ولا يحتاج معه المرء إلى التخبط في تأويلات لا طائل منها، ولعل إتقان الفرقد وتمكنه من ناصية اللغة الفرنسية يعزز من براعته في التعبير بلغة القران وبذلك فان أسلوبه يؤثر في النفوس وينفذ إلى أعماقها وهذا ما يفسر استياء الاستعمار من مقالاته النارية التي كان يطلع بها في الجرائد والتي كانت تلهب المشاعر وتبعث الحياة في النفس الميتة لأنه في أطروحاته المختلفة لم يكن يبتعد عما يهم مجتمعه وبني جلدته ووطنه المفدى، ثم يعمد إلى الداء فيشخصه ثم يصف الدواء المناسب للعلاج و ذلك بعبارات واضحة جلية مما جعله يمتلك ناصية الأسلوب الجزل بكل قوة و تكمن مع براعة حسن الاستهلال وهو ما نفتقده في أسلوب المحدثين من الكتاب اللهم إلا القلة القليلة.

وفي الختام ينبغي القول بأن فكر الرجل خصب والأفكار التي كانت تشغل باله وطنية بناءة فهو يعتبر بحق مخلصا في جميع القضايا التي عالجها قلمه الثائر، مما يدل على ثراء في الفكر والمعرفة لديه مع حسن توظيف لكل معضلة عالجها بما يعود بالنفع على مواطنيه ومجتمعه[85].

خلاصة:

كان الأدباء الثلاثة مقالا يحتذى بهم في إصلاحاتهم وصمودهم وتنحيتهم كل العقبات من أجل خدمة وطنهم فقد عثروا بكل صدق وعمق عن الوطنية الجزائرية وعن القضايا المغربية والعربية. وقد ساعدهم على ذلك مواهبهم الشخصية وبيئتهم التي ترعرعوا فيها بالإضافة إلى البيئة الثقافية التونسية الزاخرة بمختلف العلوم والمعارف والمعاهد والأساتذة.

فهم بحق يعدون أحد رموز نهضتنا الأدبية وأبرز طلبة البعثة الذين رفعوا راية الإصلاح ونشروا النهضة في أنحاء الجزائر كلها وهدموا أركان المفسدين والمستعمرين بفضلهم عرفت الجزائر ببطولاتها المجيدة وجهادها ومعاناتها، فكانوا غنما عظيما للجزائر عائدين عليها بالنهضة والتطور والثقافة.

---

[85] بتصرف، نفسه ص47- 48.

المبحث الرابع: أثر البعثات العلمية إلى تونس في نهضة الجزائر الحديثة:

كان للبعثات العلمية التي أنشاها في تونس الخضراء الشيخ أبو اليقظان وصحبه الأبرار "إبراهيم أطفيش" "ومحمد الثميني" و"السيد صالح ابن باعلي" رحمهم الله جدوى عظيمة لنهضة الجزائر الإسلامية العربية الحديثة، لقد ابتدأ من أول العشرينات طلبة هذه البعثة يرجعون إلى الجزائر، فيشمرون للعمل الإصلاحي، وتثقيف عقول الأمة، والزيادة في وعيها بالوعظ والإرشاد الحي في المجامع، وبخطبهم في المحافل والتي كانت تقع كثيرا في مدن ميزاب، وكانوا يقيمون الحفلات الأدبية في المناسبات فيحضرها جمهور كبير فيخرج الناس مسرورين بما رأوا أو سمعوا معجبين بالإصلاح الذي أنجب لهم هذه الصفوة العاملة لخير الدين والوطن، حيث تأيد الإصلاح في ميزاب والجزائر بأبناء البعثة فهبت المدن الميزابية لإنشاء مدارسها القرآنية العصرية الابتدائية الحرة للعلوم العربية والدينية وغيرها مما يجب لثقافة العصر، وجمعياتها الخيرية التي تقوم بهذه المدارس، لما وجدت من أبناء البعثة المعلمين المربين الأكفاء وكان خريجو البعثة من أكبر من دعا إلى هذا، فأنشأت العطفاء في ميزاب مدرستها القرآنية عامَ 1925م حيث صارت أحسن مدرسة عربية في العشرينيات في جنوب الجزائر أضف إلى إنشاء خريجي بعثة أبي اليقظان جمعية الإصلاح العتيدة في غرداية عام 1928م ثم مدرسة الإصلاح بعدها[86] فقاموا بالتربية والتعليم فيها، فازدهرت وأنجبت أجيالا كثيرة من الرجال المثقفين المصلحين كانوا من جند النهضة والإصلاح في الجزائر بنوها في النواحي المهمة، كما أنشأ كبار مصلحي بريان مدرستهم القرآنية العصرية وجمعيتهم الخيرية سنة 1928، وفي عام 1931م أنشات مدينة القرارة مدرستها القرآنية الابتدائية العصرية فكل هذه المدارس ازدهرت ازدهارا كبيرا وبذلك عم التعليم العربي الإسلامي العصري مدن بني ميزاب وعمت الثقافة القوية الصحيحة. فزالت الأمية منها في الأربعينات، وبفضل هذه المدارس رفعت لواء التعليم العربي الديني، والتربية الإسلامية عاليا في جنوب الجزائر وكانت اللغة العربية رافعة الرأس في وادي ميزاب تهفو إليها نفوسهم ورأوا تعلمها واجبا مقدسا لأنها لغة القرآن ووعاء الدين.

وكان خريجو البعثة التونسية من جنود المقدمة البواسل في معارك الإصلاح ضد الفساد والجهل والجمود والاستعمار، وقد قاد المعارك أعلام الإصلاح في الجنوب الشيخ "ابراهيم بيوض، أبو اليقظان" وصحبهما الميامين وكان النصر للإصلاح على الجهل والفساد بفضل ثبات المصلحين الذين تأيدوا بنزول خريجي البعثة التونسية ومعهد الحياة في القرارة ومعاهد ميزاب

الأخرى إلى الميدان "لقد كان هؤلاء الخريجون جميعا من تونس وميزاب شباب النهضة العتيد تطورت بهم تطورا عظيما.

---

[86] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ج2 ، ط1 عام 1965، ص 255– 256 .

ولما اندلعت ثورة الجزائر المباركة 1954م جاهد فيها أبناء البعثة العلمية الميزابية كل واحد منهم في ناحيته في شجاعة وحكمة وثبات، وكانوا جندها وأنصارها البواسل فأجدوا على الثورة الجدوى العظيمة في أنحاء الجزائر وفي الشمال والجنوب.

وأصدر أفذاذ هذه البعثات الميزابية الأولى الصحف الوطنية العربية في الجزائر. فرفعت راية الإصلاح، ونشرت النهضة في أنحاء الجزائر وهدت أركان المفسدين والمستعمرين ودافعت عن النهضة الإسلامية العربية الجزائرية فكانت غنما عظيما للجزائر وفتحا كبيرا للإصلاح الذي يخمد الاستعمار أصواته.

وكان الشيخ أبو اليقظان هو الذي قام بإصدار هذه الصحف في الجزائر في العشرينيات والثلاثينيات، وهب أبناء البعثة التونسية يؤازرون شيخهم أبو اليقظان في جهاده الصحفي بالدعاية النافعة حيث شمرت طائفة من نبغاء البعثة للعمل الأدبي في صحف أبي اليقظان. فأنشأت القصائد الوطنية البليغة والمقالات الاجتماعية والأدبية والسياسية فنشرتها في صحفه ومن أولئك الشعراء مفدي زكريا و رمضان حمود وغيرهم، وخريج البعثة النابغة الفرقد سليمان بن يحي بوجناح الذي كان عالما بالفرنسية والعربية فنفع الشيخ أبا اليقظان نفعا كبيرا في الترجمة من الفرنسية إلى العربية ، ولولا مساعدته هؤلاء وكبار المصلحين في ميزاب للشيخ أبي اليقظان ما استطاع أن يقوم بجهاده الصحفي العربي الإسلامي الطويل الصعب في الجزائر. وهكذا فإن هذه البعثات كان لها فضل كبير في تطور ونهضة الجزائر فقد حققت نتائج عظيمة في كل الميادين[87].

إستمرار البعثات العلمية في تونس الخضراء إلى غاية عهد الاستقلال:

مكث "أبو اليقظان" في تونس الخضراء تسع سنين وهو رئيس البعثة العلمية، ومعه في الرئاسة الشيخ"إبراهيم أطفيش" والشيخ "محمد الثميني" والسيد" الحاج صالح ابن باعلي".

وكانت دار"أبي اليقظان" للبعثة هي أول دورها، فتحها في آخر عام 1916م، وفي عام 1917م سافر إلى تونس من الجزائر، ففتح هو والسيد صالح بن باعلي من بني يزقن في ميزاب

---

[87] ينظر: نفسه ص 256- 259.

محلا صغيرا في الطابق الأول في سوق البلاط بجوار المطبعة التونسية فسكنوه والتحق بهم الشيخ محمد الثميني الذي جاء للتعلم أيضا في تونس في يناير 1919.

فصار معهما من رؤساء البعثة، ولما كثر تلاميذهم انتقلوا عام 1920م إلى دار واسعة في نهج المدرسة السليمانية تجاور دار أبي اليقظان، وكان الشيخ" إبراهيم أطفيش" هو الرئيس في الشؤون التربوية والعلمية للبعثة ومعه الشيخ"محمد الثميني"، ويقوم معهما الشيخ صالح بن باعلي بالنواحي الأخرى المادية والرقابة العامة على البعثة.

كان السيد صالح بن باعلي فاضلا ورعا في دينه،شديد الحب للخير والعلم متواضعا مثقف العقل أخذ بنصيب من العلوم الشرعية والعربية في بلده بني يزقن في ميزاب حيث ذهب إلى تونس و فتح دارا للطلبة الوافدين من بني يزقن وغيرها للتعلم في تونس[88].

وممن اقترح عليه هذا وأعانه فيه، صالح بن يحي عم مفدي زكريا، فضحى رحمه الله ودام جهاده هذا سنين كثيرة، وقد أكثر الله مساعيه، فأنجبت بعثته العلمية التي يرأسها هو وزملاؤه علماء نبغاء، ورجالا عاملين.

وفي عام 1922م كبرت بعثة السيد صالح وساءت علاقة الشيخان محمد الثميني وإبراهيم أطفيش بالسيد الحاج صالح بن باعلي لأسباب تاريخية قديمة، ففارقاه وفتحا دار ثالثة في نهج بئر الأحجار في تونس، ودام الشيخ الثميني رئيسها ودامت بعثاته العلمية المباركة المتوالية في هذه الدار إلى آخر عام1958م.

وإذا سافر أبو اليقظان إلى الجزائر لزيارة أسرته وأقام فيها شهور العطلة الدراسية في الصيف في رئاسة البعثة الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، فكان يتخذ لهم نظاما علميا حكيما في عطلة الصيف، فيحفظوا ما يجب من متون في العلوم، ويراجعوا دروسهم، ومن أخل بواجبه اليومي حرم من السباحة في البحر التي يقومون بها في كل مساء في العطلة.

كانت مدة البعثة التي كونها أبو اليقظان تسعة عشر عاما، أنجبت أجيالا عديدة من الرجال المثقفين العاملين المجاهدين المخلصين، إن عوائدها العظيمة على الجزائر كثيرة[89].

---

[88] ينظر: نفسه، ص 249- 250 .

[89] نفسه بتصرف، ص250- 251 .

خاتمـة:

لقد عرف الأدب الجزائري الحديث أثناء الاستعمار نكسة قوية بسبب سياسة التجهيل التي سلكتها فرنسا، فأخذت تخرب القيم الروحية وتصد الشعب الجزائري عن الثقافة العربية وتمنع اتصاله بإخوانه العرب شرقا وغربا حيث أرادت فرض ثقافتها من أجل قتل اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائها في الجزائر لأهمية مقوماتها، ولكن أن لها تحقيق ذلك والأدباء والمصلحون كانوا لها بالمرصاد حيث تكونت البعثات العلمية والتي كان من بينها بعثات أبي اليقظان وإبراهيم ابن عمر بيوض...التي ربت وعلمت وأصلحت فأنجبت أجيالا كثيرة من الرجال المثقفين المصلحين الذين كانوا من جند النهضة والإصلاح في الجزائر عموما ، ويعد مفدي زكريا ورمضان حمود وسليمان بوجناح من أبرز طلبتها الذين كانوا بحق أحد رموز نهضتنا الأدبية وغنما عظيما للجزائر.

ومما نشيد به من المظاهر الهامة التي تحسب في إيجابيات الشعر الجزائري المهاجر مظهر الوفاء والعرفان وتعميق أواصر القربى وكلها تلمس بجلاء فيما كتبه هؤلاء الشعراء عن تونس وكفاحها الوطني وعلمائها وأدبائها، يتجلى هذا الوفاء في صور متعددة منها مناصرة شعراءنا لكفاح الصحافة التونسية وتكريم رجالها ومساندتهم في مواقفهم الوطنية نظرا للدور الذي تقوم به هذه الصحافة في مجال التوعية الشعبية والنضال الوطني اليومي في كل من تونس والجزائر معا. على أن مظاهر هذا الوفاء لا تقتصر على الأحداث الوطنية والحياة الصحفية بل تبرز التعلق الواضح بجامعة الزيتونة الذي نهل من معينه العلمي هؤلاء الشعراء، وبعلماء الزيتونة وبشعراء وأدباء تونس بل بتونس بأسرها أرضا وشعبا وطبيعة خلابة، وعيونا ساحرة.

ويمكن أن نستخلص من خلال بحثنا هذا النتائج الجوهرية التي تضمنت جملة من المسائل الهامة نستعرض بعضها فيما يلي:

- الاستفادة من حياة رجالنا العظماء الجزائريين العبرة في تشبعهم بالمثل والأخلاق العليا والدفاع عن قضايا وطنهم.
- إن التراث الجزائري غني وعريق، يستلزم الغوص في جذوره المعرفية لبلوغ الحقائق المخفية.
- تشجيع البحث في التراث الأدبي الجزائري بمساعدة الدارسين والباحثين وطبع المذكرات والرسائل المهمة ونشرها حتى يطلع القارئ الجزائري والعربي عموما.
- إثراء مكتباتنا الجامعية بالأعمال الأدبية الفكرية لكل الأدباء الجزائريين ليطلع عليها لطلبة ولتكون في متناولهم فيدرسون و يبرزون أهميتها.

وخلاصة القول بعد انجاز هذا العمل أن للبعثات العلمية دور كبير في تطوير الجزائر في جميع المجالات التعليمية الإصلاحية والفكرية والأدبية.

هذه مجمل النتائج التي توصلت إليها دراستنا ونأمل أننا أفدنا ولو بالشيء القليل حقل الدراسات الجزائرية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثرها الإصلاحي في الجزائر المؤسسة الوطنية الجزائر 1985، ط$_1$ 2007.
2. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي ج$_4$ 1952 –1954 دار الغرب الإسلامي، ط$_1$، سنة 1997.
3. تاريخ العرب الحديث والعالم(1516ـ 1939) المعهد التربوي الوطني الجزائري.
4. خيثر عبد النور و آخرون منطلقات وأسس الحركة الوطنية هدية من وزارة المجاهدين (1830– 1945) سلسلة المشاريع الوطنية للبحث.
5. رابح لونيسي، مفدي زكريا شاعر الثورة، دار المعرفة ط$_1$، سنة 2004.
6. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج$_2$ (1900–1930) ط3.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
7. شريبط أحمد شريبط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين جمع وطبع وتركيب، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر.
8. صالح خرفي، حمود رمضان، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،ج$_3$ 1985.
9. صالح خرفي، الشعر الجزائري، سلسلة الدراسات الكبرى. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
10. صالح خرفي الأدب الجزائري الحديث الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط$_1$ الجزائر 1983.
11. عبد القادر زبادية. صادق الغولي وآخرون. تاريخ المغرب العربي الحديث، المعهد التربوي الوطني. الجزائر سلسلة التاريخ المدرسي السنة الرابعة.
12. محمد بن سمينة، في الأدب الجزاري الحديث للنهضة الأدبية في الجزائر مؤثراتها ـ بدايتها ـ مراحلها، مطبعة الكاهنة الجزائر.
13. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية. منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
14. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري د.م.ج بن عكنون الجزائر.

15. محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، الدار العربية للكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1883.
16. محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط$_1$، 2005.
17. محمد صالح الصديق، المصلح المجدد عبد الحميد بن باديس لهذا حاولوا اغتياله د.م.ج الساحة المركزية بن عكنون الجزائر.
18. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج$_2$، ط$_1$ 1965.
19. محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط$_2$، سنة1989 .
20. مفدي زكريا، وكيبيديا، الموسوعة الحرة، بوابة الجزائر ، تفصح مقالات وكيبيديا المهتمة بالجزائر.
21. مصطفى بن بكير حواش، بوجناح سليمان بن يحي الفرقد، ط$_1$ 2008.
22. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية الجزائر2007.

فهرست الموضوعات

مقدمة.....01

الفصل الأول: مدخل: إرهاصات الأدب الجزائري الحديث

المبحث الأول(1): أوضاع الجزائر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.....03

المبحث الثاني(2): بداية الإصلاحات من 1900.....08

المبحث الثالث(3): الحركة الوطنية ونشاطاتها.....11

المبحث الرابع (4): الحركة الإصلاحية ونشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....

(1925ـ 1931).....14

الفصل الثاني: البعثات العلمية وأثرها في الأدب الجزائري الحديث

المبحث الأول(1): نشأة البعثات العلمية.....22

المبحث الثاني(2): أثر البيئة التونسية في تطوير شعرهم.....24

المبحث الثالث(3): الخصائص الشعرية عند:

- مفدي زكريا.....27
- رمضان حمود.....38
- سليمان بوجناح.....46

المبحث الرابع (4): أثر البعثات العلمية إلى تونس في نهضة الجزائر الحديثة 51

خاتمة.....54

قائمة المصادر والمراجع

فهرست الموضوعات